التماسُك النَّصي في كتابي الفتح بن خاقان

(قلائِدُ العقيان ومطمحُ الأنفُس)

دراسة نقدية

م.د. سهى يونس سلمان / مديرية تربية كركوك

المُلخَّص

يهدفُ صاحبُ النَّص إلى تعزيز أرصدةِ مفهوماتِه ورؤاه عبر التَّلاعُب اللُّغوي المُفضي إلى تحسين جودة الأدبيَّة التي تنسجمُ بدورها مع طبيعةِ الموضُوعات والقضايا والأفكارِ المُستهدفة ، لذا يُحاولُ البحثُ تسليطَ الضوء على التَّماسُك النَّصي عند الفتح بن خاقان ؛ بالإستنادِ إلى كتابيه (قلائد العقيان ومطمع الأنفس) ، ومُحاولة اقناع المُتلقي بحجم الجماليَّة المُتحقِّقة وامكانيَّة عدّها مِفتاحاً للولُوج في خطابِ ابن خاقان ، ولِسعة الموضُوع وتشعُّبه ارتأينا الوقوف على محورين مُهمَّين هُما : الاتساق المُعجمي (التماسُك الشَّكلي) وفيه تتضحُ معالم البناء الدّاخلي والتَّرابط المُتسلسل في منظُومة اللُّغة ، والانسجام (التماسُك الدّلالي) وفيه تتعاضدُ الوحداتُ الاسلوبيَّة مِن الدَّاخل مع المُحيطِ الاجتماعيّ الخارجيّ لتشكيل نواة الخِطاب وبؤرته الخاصة.

المُقدّمة

لكي يكونَ النَّص أكثرَ ايغالاً في النّفوس ويخترقُ الذِّهنيات التَّوَّاقة لكُلِّ ما هو جمالِي واسْتمالتها لمنْطقةِ الإبداع ؛ عليه بناء دعائِمه على مُرتكزاتٍ أسلوبيَّةٍ لها قُدرة المُناورةِ والتَّشظِّي والشُّموليَّة ، ولا يتأتَّى ذلك إلاَّ بعد سِلسلةٍ من المُتواليات اللِّسانيَّةِ المُوجَّهةِ نحو مُبتغاها ؛ إذ تتواشجُ الكلماتُ والجُملُ فيما بينها مُحدثة نمطاً دلاليَّاً له صداهُ في تغيير المفهومات والقناعات بعد التَّحكُّم بآلياتِ التماسُك الشَّكلي الدَّاخلي كالإحالةِ والحذفِ والتَّضاد والتَّكرارِ وغيرها من جِهة ، وتتعالُقُ في نسقٍ مُتواترٍ مُرتبطٍ بالمنظُومةِ الثقافيَّةِ الخارجيَّةِ للوصُول إلى التماسُك الدّلالي من جهةٍ أُخرى . وبحسب أهمِّية التماسُك النَّصي بنوعيه وجدنا أنَّ خِطابَ الفتح بن خاقان في كتابيهِ قلائِد العِقيان ومحاسن الأعيان ؛ ومطمح الأنفُس في مسرحِ التأنُّس كانَ مبنياً على التماسُك ؛ بُغية ايصال الرِّسالة للمُتلقي واقناعه بفحوى المحتوى المعروض وضرورة التفاعل معه ، ولتشعب الموضوع ولتعدد عناصره وآلياته وقفنا في دراستنا على محورين مهمين هما :

المحور الأول : الاتساق المُعجمي (التماسُك الشَّكلي) : وفيه بيّنا دور التماسك الشكلي في بناء المعاني وتوجيهها نحو ما مبتغاه لاحداث الأثر في المتلقين وتعزيز أرصدتهم المعرفية على نحو من الترتيب والتسلسل المنطقي .

المحور الثاني : الانسجام (التماسُك الدّلالي) : وفيه سلَّطنا الضوء على قدرة تحكم الخطاب بعناصره وآلياته الداخلية وجعلها في توأمة من الانسجام مع المعطيات الواقعة خارج السياق اللغوي لبيان قيمة التأثيرات الاجتماعية وغيرها في تنظيم المفهومات والدلالات وما نحو ذلك .

التمهِيدُ : التماسُك النَّصي

يحتاجُ النص الأدبي وغيره لكي يكون ابداعياً الى ضابطٍ أدائيٍ مُحكمٍ يُحدِّدُ مساراته اللغوية ويُوجِّه معانيه توجيهاً مُلائماً للذائقة العامة التوَّاقة للتميّز ، فالنصُ المكتوب كُتلة مُتحرِّكة وجمهورٌ فائِضٌ من الألفاظ والجُمل والتراكيب ، ممَّا يعني تعدُّد المعاني والرؤى التي ربَّما تكون مُتناقضة فيما بينها ؛ وهذا يستوجب وجود الضابط الأدائيّ لإعادة ترتيب البناء الفني على وفق ما يحتملهُ النص وما يبثهُ المُبدع من قصديَّة ؛ لذا فالتماسكُ النصي هو ذلك الضابطُ القادرُ على بيان الحِرفة اللغويَّة المُوظَّفة في هذا النص أو ذاك ؛ ومعرفة مدى قُدرتها على استمالة عقول المُتلقين من خلال ما تبثُّهُ من الحُمولات الدلاليَّة والاشاريَّة ، وهذا يعني أنَّ المُبدع عليه اختيار القواعد المُناسبة لضبط نصه بمقدارٍ يُسهم في ايصال المعلومة إلى الآخرين بأسهل الطُّرق وأيسرها بل أكثرها حضوراً ورغبة ، وكلَّما حاول التفنُّن في اخراج هذه الاداءات فإنَّ نصه سيكون مُعاصراً للثقافات ومُلائماً للتنوع الفكري والايديولوجي في أيّ زمانٍ ومكانٍ ، وهذا هو سرّ النجاح الحقيقي لأيّ نصٍ مُتميز.

وعلى وفقِ هذه الأهمية فإنَّ النقد العربي القديم لم يغفل عن هذه الخصيصة بل عالجها من نواحٍ عدة ولا سيما ايضاح ذلك التماسُك في النصوص الشعرية ، فقد أدرك ذلك النقد وجود صياغات لغوية مُحكمة من شأنها احتواء الكثير من المعاني في قليلٍ من الألفاظ ، فضلاً عن جماليَّة الصياغات وتلونها على نحوٍ يُفضي إلى سحر مُؤثر في المُقابل ، فالجاحظ (٢٥٥هـ) أشار إلى وجود التماسك في النص الشعري وعمل على اشهاره بوصفه قاعدة مُهمَّة من قواعد الإبداع لدى الشاعر ؛ وهذا واضحٌ في قوله : " وأجود الشعر ما رأيتهُ مُتلاحم الأجزاء ، سهل المخارج ، فتعلم بذلك أنَّه قد افرغ إفراغاً واحداً ، وسُبك سبكاً واحداً ، فهو يجري على اللِّسان كما يجري على الدهان " (١) ، فالجاحظ في نصه يُنبِّهنا على مسألة الجودة التي لا تتأتَّى اعتباطاً بل تأتي بعد كدٍّ ذهنيٍ مدروسٍ من الشاعر ، لأنَّ شروط الجودة تكمن في تلاحم الأجزاء فيما بينها ، وكأنَّها جسدٌ واحدٌ ، وهذا لا يُمكن له أنْ يكون ما لم يكن الشاعر مُتمرِّساً وفطناً بحيث يُحقِّق الضربة المعرفيَّة التي يبتغيها ويقصدها في قليلٍ من التوظيف الجمالي . ولا يبتعد ابن طباطبا العلوي (٣٢٢هـ) عمَّا قالهُ الجاحظ ؛ بل يؤيّده في مضمار التنسيق والترتيب الذي يجب على الشاعر الأخذ به والعمل على قوانينه ليخرجَ نصه على نحوٍ لائقٍ ومقبول ؛ واستبان ذلك جلياً في قوله : " ينبغي للشاعر أنْ يتأمل تأليف شعره وتنسيق أبياته ؛ ويقف على حسن تجاورها أو قُبحها فيلائم بينها لتنتظم له معانيها ويتصل كلامهُ فيها ... كما أنَّه يحترز من ذلك في كلِّ بيت ، فلا يُباعد كلمة عن أختها ، ولا يحجز بينها وبين تمامها بحشو يشينها ، ويتفقد كلّ مصراع هل يُشاكل ما قبله ؟ " (٢) ؛ فابن طباطبا يُوجِّه الشاعر إلى امكانيَّة الإفادة من خبراته الذاتية لتنظيم عمله بصيغةٍ لا يشوبها العيب أو الخلل ؛ وأنْ يحترز منْ كُلِّ ما من شأنه افساد حلاوة الترتيب والمُلائمة بعد تفقُّد كُلَّ مِصراعٍ وبيت ؛ ومعرفة مدى توافقه مع ما قبله وبعده ليستقيم التماسك ويؤدي غرضهُ المطلوب .

وتجدر الإشارة إلى أنَّ أفضل من كانت له دِراية عالية في هذه القضية هو حازم القرطاجنِّي (٦٨٤هـ) ؛ فقد تحدَّث عن التماسُك النَّصي باسهابٍ عبر طرق أبوابه المُتعدِّدة وايضاح قيمتها للمتلقي ؛ ولاسيما ذلك التماسُك الحاصل في القصائد الشعرية ؛ وقد أشار في معرض حديثه عن الجزءِ والكل والعلاقة بينهما إلى أهمية انتظام القصائد لتحقيق الغايات المرجوة ؛ وتبلور ذلك في قوله : " ومن القصائد ما يكون اعتماد الشاعر في فصولها على أنْ يُضمِّنها معانٍ جزئية تكون مفهوماتها شخصية ، ومنها ما يقصد في فصولها أن تضمَّن المعاني الكلية التي مفهوماتها جنسية أو نوعية ، ومنها ما يقصد في فصولها أن تكون المعاني المُضمَّنة إياها مؤتلفة بين الجزئية والكلية " (٣) . وهذا هو التماسُك النَّصي بأبعاده الداخليَّة والخارجيَّة معاً ، لأنَّ التماسك هو العلاقات المُتشاكلة بقوةٍ بين الجُمل والتراكيب أي في حيِّز الشكل ويتجسَّد ذلك عبر أدواتٍ خاصة مثل الإحالة ، والاستبدال ، والحذف ، والعطف ، والتماسك المعجمي وغيرها ؛ وبين النص كُلاً مع المحيط الخارجي في البيئة ، أي في حيِّز الدلالة ويتجسد ذلك عبر المُطابقة ، والترادف ، والسياق الخارجي وغيرها . هذه الأدوات مجموعة هي التي تُؤسِّسُ لجمالية النص وضربته الدلاليَّة المقبولة ؛ فبوساطتها نعرف أبعاد المعاني المُتجذِّرة في هذا النَّص أو ذاك ؛ كما نعرف امكانات الشاعر الأدائية والتوظيفية ومدى قدرته في التوظيف المائز الذي يُحسب لنصه وله .

وينبغي علينا أخيراً تسليط الضوء على اتخاذ التماسُك النَّصي لنفسه مُصطلحات مُتجاورة لا تختلف عنه كثيراً ؛ بل تُدلِّل عليه في أكثر مفاصلها كالسبك ، والاتساق ، والانسجام ، والحبك ، والترابط ؛ وغيرها من المُصطلحات التي تفي بوعودها الدلاليَّة وإشاراتها الوصفيَّة ؛ وأياً كان نوع المُصطلح فإنَّ التماسُك يحتويها ويضمِّنها بين جنباته بوصفه الحاضنة لكل التنوع فيها ، ولهذا يبقى التماسُك – بوصفه مُصطلحاً قاراً – مفتاحاً إجرائياً لكشف الاعيب النصوص لغوياً من حيث الترتيب والتنظيم والاستحكام البنائي بما يُلائم النص الابداعي وما فيه من حُمولات دلاليَّة قوية ؛ وقد أشار صبحي ابراهيم الفقي في معرض حديثه عن السبك إلى قيمة هذا التماسُك بقوله : " يعني العلاقات أو الأدوات الشكليَّة والدلاليَّة التي تُسهم في الربط بين عناصر النص الداخليَّة ، وبين النص والبيئة المُحيطة من ناحية أُخرى " (٤) .

ويُمكن دراسة أدبيّة التماسُك النَّصي عند الفتح بن خاقان على وفقِ الاتساق المُعجمي (التماسُك الشَّكلي) ، والانسجام (التماسُك الدّلالي) .

المحور الأول : الاتِّساقُ المُعجمي (التماسُك الشَّكلي)

يُعدُّ الاتِّساقُ المُعجمي أحد أدوات التماسُك النَّصي بطابعهِ الشَّكليّ القائِم على السياقاتِ اللُّغويَّة ؛ فهو يعملُ الى جانب (الإحالة ، والاستبدال ، والحذف ، والعطف) وغيرها من الأدوات على ترصين النَّص الإبداعي بتلاحُم الأجزاءِ النَّحوي المُكوِّنة للتراكيب ؛ ومُحاولة جعلها قادرةً على حمل المعاني والإشارات الدلاليَّة التي تُفيد الفكرة المُتوخاة في النَّص كُلاً ؛ إذ إنَّ عناية المُبدع بنظم الأساليب وتوحيد عناصِرها ابتداء من تشاكُل الألفاظ مع بعضها والجُمل كذلك ؛ ثم تعالقها جميعاً مع المعاني المُراد لها الظهُور والحضور ؛ وصُولاً إلى

تحقيق اللَّمسة المُؤثرة في المُتلقي تسمحُ له بالشروع نحو التميُّز وتجاوز الأداءات السَّطحيَّة المُباشرة ؛ فالاتِّساق هو " إحكام علاقات الأجزاء ، ووسيلة ذلك إحسان استعمال المُناسبة المُعجمية من جهة ، وقرينة الرَّبط النحويَّة من جهة أُخرى " (٥) . وهذا يعني أنَّ الاتِّساق يُعنى كُلياً بالأدوات النحوية بوصفها ركائز تُسهم في اعلاء شأن التماسُك النَّصي ؛ إذا ما تم التصرُّف بها على نحوٍ سليمٍ ومُوجَّه ؛ ولهذا عُدَّ الاتِّساقُ واحداً من المحاور المُهمَّة في لسانيات النَّص . (٦) .

هذا كُلَّهُ يُؤكد لنا وجود رابطٍ متينٍ بين الأجزاء المُشكِّلة للنَّص ؛ من حيث التشاكُل القوي بين الألفاظ مع بعضها وتعالُقها في مُتواليات مُنتظمةٍ من جهة ؛ مع تعالُق تلك الالفاظ برُتبٍ نحويّةٍ مُتجانسةٍ تُوصل الألفاظ إلى مستوى التعبير عن المعاني المُراد بثها في هذا النَّص أو ذاك من جهة أُخرى . وكُلَّما كانت قُدرة التلاعُب اللغوي قويّةٍ كُلَّما أدَّى الاتِّساق دورهُ في توظيفِ المعاني بصورةٍ أدائيَّةٍ مقبُولةٍ على المُستوى الأدائيّ الشَّكلي ؛ فالاتِّساق هو " توظيف المفاهيم المُعجمية (التكرار والالتضام) التي تجعل النَّصَ كُلاً مُترابطاً على المُستوى السطحي . " (٧) . ويُثبت الاتِّساق المُعجمي وجوده عبر خاصيتين مُهمَّتين لهُما وقعهما الخاص ؛ وهُما خاصية الالتضام القائِم على العلاقاتِ التَّقابُليَّة والتَّضاديَّة في المُفردات وخاصية التَّكرار بانواعه المُختلفة ؛ التكرار اللَّفظي ، والاشتقاقي ، والجناسي ، والترادُفي وما نحو ذلك ، ومن خلالهما يصلُ المُتلقي إلى مراميه ويستعلم بقُدرة المُبدع التوظيفية ودواعي توظيفاته الجمالية التي ترفعُ من شأن نصه بما حواه وتضمَّنه . ويُمكنُ دراسة ذلك على وفق هاتين الخاصيتين اللُّغويتين .

أولاً : الالتضام

يُمثلُ الالتضامُ حلقة تماسُك مُهمَّة في سُلَّم السياق اللُّغوي ؛ لأنَّه يتحرك على مساحةٍ عريضةٍ قوامها التقابُل والتَّضاد ؛ ومن خلالهما يُحقِّق ضربتهُ المُبتغاة في نفوسِ المُتلقِّين التَّواقين للتغيير والمُراوغةِ الأسلوبية ؛ فجمالياتُ النَّص الأدبي لا يُمكن لها تخطِّي المقبُوليَّة واستمالة العقول ما لم تكُن مبنيَّة على أُسسٍ متينةٍ من التلاعُباتِ اللُّغويَّة المُفضية إلى تلونِ الأداءاتِ التي تُسهمُ في تنفيذ أجنداتها السياقيَّة ودلالاتها المعرفيَّة ؛ وعليه فعلاقات التقابُل والتَّضاد التي ينثُرها المُبدع في نصه دلالة واعية على ضبطهِ للاشارات الدلاليَّة في قليلٍ من الأساليب ؛ إذ يجد المُتلقي أنَّ هذا التقابُل مثلاً (سار ومشى) والتَّضاد مثلاً (عزل وتقلد) وما نحو ذلك ؛ يخلقُ فاعلية في تدبُّر السياق مراتٍ ومراتٍ لاستعلام المضامين المخبوءةِ التي حفَّزت على تشكيل هذا الأداء بالتحديد من دون غيره ؛ وحتماً تأتي الغاياتُ مقصودةً لتفعيل حركيَّة السياق وجعله مُناسباً للأذواق . وفي الإجمال فإنَّ الالتضام نسقٌ أسلوبيٌّ يحوي بين طياتهِ ألفاظاً مُتجاورةً ومُتباعدة تخلقُ نوعاً من الإثارةِ الفكريَّةِ لوجود علاقة بينها تُسْهمُ بجعل المُتلقي يُعيد حساباته ليجد المُلاءمة المطلوبة والغرض المُبتغى ؛ فهو باختصار شديد " علاقة أُفقيَّة تجمعُ بين لفظين مُتجاورين أو مُتباعدين لوجود المُناسبة بينهما " (٨) .

وفي ضوءِ هذه الأهميَّة رصدنا عدداً كبيراً من السياقاتِ القائِمةِ على الالتضام بنوعيه في خطابِ الفتح بن خاقان ، ومن ذلك دلالة التقابُل التي رصدناها في مَعرضِ التعريف بذي الوزارتين القائِد أبو الحسن بن اليَسع الذي أُشتهر بملذَّاتهِ ورغباتهِ واهمالهِ الحُكم حتَّى وصل الأمرُ إلى خلعه وهذا واضحٌ في قوله : " ومشىَ في طُرق الاستهتار خبباً ورملا ، فائتمر به الملأ من أهل مُرسية أيّ ائتمار ، ورأوا قتله أوكد حِجة واعتمار ، فنصبوا له الحرب ، وعصَّبوا به الطعن والضرب ، حتى أعطى الدَّنية ، ونزل لهم عن تلك الثنيَّة ،

فقنعوا بارتفاع وباله ، وامتنعوا من حربه وقتاله ، وخلعوه عن تدمير ، وسقوه الرَّنق بعد النَّمير . " (٩) . أحكم ابنُ خاقان قبضتهُ التعبيريَّة في هذا النَّص ووجَّهه بأقل الأساليب ولكنَّه غزيرُ المعاني والإشارات ، فالنَّص كُلُّه قائِمٌ على التقابُل الفكري في الإطارِ العام ؛ وتمثَّل ذلك بفريقين مُتخاصِمين يتحاربان من أجل قضيتهما ؛ وينتصرُ في النهايَّة فريقٌ على آخر ؛ هذا التقابُلُ الفكري استدعى تقابُلاً اسلوبيَّاً أعطى مراميه بسرعةٍ وتناسب مع الجو العام للثِيمة المعروضة ؛ فكانَ الالتضامُ مفتاحاً اجرائيَّاً مُعالجاً لحالة الاندماجِ بين الشَّكلي والدّلالي ، فبعد قُدرتهم على اعداد العُدَّة لخلعِ الوزير أبو الحسن من منصبهِ لتهوُّره والانقياد لشهواتهِ الخاصة ؛ نجحوا بالتنفيذِ واشعلوا أوار الحرب وتمكَّنُوا منها من خلالِ التقابُلِ الذي أوغلَ الفكرة في النُّفوس ؛ فهُم مُنتصرونُ بسبب (فنصبوا له الحرب ، وعصَّبوا به الطعن والضرب) ؛ فالحربُ تستدعي الطعنَ والضربَ وشراسة القتال ؛ ولأنَّها حربٌ تحتملُ الكثير والكثير فقد جاءتِ الألفاظ المُتقابلة حاملة لصبغةِ التأكيدِ في الوصول إلى الهدفِ بعد الطَّعن المُشابه للضَّرب ، فكلاهُما (الطَّعن والضَّرب) في علاقةِ تقابُل يؤدِّيان دلالة واحدة مع اختلافٍ بسيطٍ في التنفيذِ والوجع ؛ وما مجيؤهما معاً في سياقٍ واحدٍ إلاَّ للدّلالة على تأكيدِ قضيَّة الخُلع بطُرقِ القتل التي نفذتها مُفردتا الطَّعن والضَّرب ، ولاستكمالِ الثيمةِ المُتوخاةِ ولظفرهم بالنَّصر بدلالة (فقنعوا بارتفاعِ وباله) أي اشتداد الأمر عليهم وصعُوبة مُجاراتهم جاءتِ النتيجةُ سريعة بقوله : (وامتنعوا من حرْبهِ وقتاله) فالقتالُ يعني الحرب ؛ والحربُ تستوجبُ القتالَ فكانت علاقةُ التقابُل دلالة صريحةً على ايقاف زحفهمِ والامتناع عن القتالِ المُباشرِ والحرب برمَّتها بخُططِها وقتالها ، وتبلورَ هذا الانجازُ بتحقيق التقابُل لسطوتِه اللُّغويَّة وتهيأة المُتلقي لتقبُّل النتيجة النهائيَّة وهي (وخلعُوه عن تدمير ، وسقُوه الرَّنق بعد النَّمير) ؛ فحتماً يكونُ الانتصارُ بقتله إذا جاراهم بالقتالِ وهو لم يفعل ذلك ؛ وبخلعه بعد خسارتِه واسْتسلامه .

وفي اتجاهِ الالتضام القائِم على علاقةِ التَّضادِ في السياقِ اللُّغوي ؛ وجدنا أنَّ ابنَ خاقان كان كثيرَ الميل إلى هذا الإتجاه قياساً على علاقة التقابُل ، لأنَّ مساحة التَّضاد كبيرةٌ تسمحُ لصاحب الإبداع التنقُّل بحريَّةٍ بين متونها ؛ واختيار ما يُلائِم طبيعة الفِكرة التي يُريد نشرها وتحقيقها في نصه ؛ ومن ذلك نذكرُ قوله : " وبنو جهور أهل بيت ووزارة ،اشتهروا كاشتهار ابن هُبيرة في فزارة ، وأبو الحزم أمجدهم في المكرمات ، وأنْجدهم في المُلمَّات ، ركبَ مُتونَ الفتون فراضها ، ووقع في بحورِ المِحن فخاضها ، مُنبسطٌ غير مُنكمش ، لا طائِش اللِّسان ولا رعش ... تخلَّى عن التدبير مدتها ، وخلّى لخلافه تدبير الخلافة وشدّتها ، وجعل يُقبل مع أولئك الوزراء ويُدبر ... إلى أن بلغتِ الفتنة مداها ، وسوّغت ما شاءت رداها ، وذهب من كان يخِد في الرّياسة ويخبُّ ، ويسعى في الفتنة ويدبُّ ، ولمَّا ارتفع ذلك الوبال وأدبرَ ذلك الإقبال ، راسل أهل التقوى مُستمداً بهم ، ومُعتمداً على بعضهم ، تحيّلا منه وتمويها وتداهياً على أهل الخلافة وذويها . (١٠) . يتحدثُ ابنُ خاقان في هذا النَّص عن أبي الحزم المُنتمي إلى بني جهور الذين اشتهروا بالرّياسةِ والقِيادة ، ففي هذا النَّص الطويل الذي اجتزأنا منه ما يخدم التَّضاد يُبيّن حِنكة أبي الحزم في تولّي زِمام الأُمورِ والسيطرة على قُرطبة بدهائِها ، وقد كسا نصهُ برصانةِ الكلمةِ وتراصّ الجُمل وجودة التراكيب ؛ وممَّا زادَ من تماسُك النَّص أسلوبيَّاً هو التَّضاد الذي انتشرَ على مساحةٍ كبيرةٍ ؛ لزيادةِ الالتضامِ السياقيّ وتوجيهه نحو مَراميه ، فمن صفات أبي الحزم التي تتناسبُ ورياسته وقيادته أنَّهُ لم يكُن مُنبسطاً ولا مُنكمشاً ؛ وهي دلالةٌ على تقبُّله للآراءِ بما يتناسَب وحجم المرحلة ؛ أي لا يعتدّ برأيهِ الفرديّ الذي رُبَّما يكونُ خاطئاً ، وعليه فهو يعرفُ حُدود ذاته ولهذا انفتح على الآخر ليأخذَ منه ما يُفيده في حملته ، وهذه دلالةٌ على الرَّجحان العقلي لديه ، ولكي يُزيد ابنُ خاقان من سلسلةِ الالتضام وسحب مُتلقيه إلى منطقةِ الوعي بقيمةِ هذا الرَّجُل عزَّز رؤيتَهُ بأنَّ أبا حزم لا طائِش اللِّسان

ولا رعش ، وهذه دلالةٌ أُخرى على اعتدالِ سلوكه وتدبُّر أقواله التي تبتعدُ عن الطيشِ المُؤدّي إلى عدمِ الصواب ، أي أنَّه يسوقُ كلامه بما يتلائَم مع المقاماتِ ويتجاوبُ مع الهدفِ المرسوم ؛ وهو في الوقتِ ذاتهِ ليس رعشاً أي ليس مُضطربا في كلامه ؛ ولا خائِفاً من عواقِب كلامه ؛ لأنَّهُ يُدرك ما يُريد فيُدرك ما يقول ؛ وهذا يعني تطابق سُلوكه مع أدائهِ اللُّغوي ؛ فهُما يتماسكان ويتعاوران على تحقيقِ المكاسب ، وبعد اشتدادِ الأزمةِ راحَ يُقبلُ مع الوزراءِ ويُدبر ؛ فهُنا علاقة تضاد تزيد من لُحمة الاندماجِ السياقيّ وتجعل حركيَّة الأفعالِ دائِمة الاستمرارِ والتَّواصُل ؛ ليتوائَم ذلك مع فعلِ التخطيطِ والتدبُّر للسيطرة على قُرطبة ، ويتلائَم كذلك مع حركيَّةِ الحربِ في صولاتها التي تحتاجُ إلى الإقبالِ والإدبار ، وبعد أنْ وجدَ الفرصة سانحةً أمامه للإنقضاضِ على خُصومهِ ووجد السَّاحة فارغة من أولئك (وذهب من كان يخِد في الرياسة ويخبُّ ، ويسعى في الفتنة ويدبُّ) استمكن منهم وانْتصر ، ولاسيما بعد تشابُك العلائق بسبب الالتضام الذي حقَّق أهْلية التقابُل المهزوم ؛ فانتصار أبو الحزم جاء بعد خفوتِ نجم من كان يسير باتجاهٍ واحدٍ مُسرعاً نحو المُواجهة (يخد) ، ومن كان يسيرُ مُتخبّطاً باتجاهين لرأبِ الصَّدع في صفوفه (يخبُّ) ؛ فهو قد سيطرَ على هذين الإتجاهين ولم يبق لهم وزناً يُذكر ؛ وكذلك الحال مع السَّاعي بسرعةٍ لاعداد العُدَّة وغيرها والتحرُّك علناً ؛ والذي يسيرُ سيراً وئيداً كدبيب النَّمل ؛ أي يُدبّر الأمورَ بأناةٍ وصبرٍ ؛ فهُما كذلك في مَرمى عقلهِ ولا مجال لتجاوزِ عقباته . وفي الاجمال حقَّق التقابُل المُتضاد تجانُساً أسلوبيّاً مُتسلسلاً أفرز لنا تماسُكاً لُغويّاً تجانس وتناسب مع تماسُك القائِد وحِنكته في تدبُّر الأمورِ والانتصار أخيراً ، وهذا يعني تعاضُد الأداء الشكلي اللُّغوي مع الثِّيمة الدلاليَّة ، فالأول زادَ من حركيَّة النَّص وتقدُّمه بحسب التنقُّلات الأسلوبيَّة والضربات التركيبية ؛ الذي زاد تلاؤماً في المُقابل مع ثيمة الحركة والاستعداد لخوضِ الحربِ والانتصار . وهذه هي قيمة التماسُك النَّصي بحضور الأداء الشكلي حضوراً فاعلاً ومُميَّزاً .

ولكي تكون صورة التماسُك النَّصي أكثر بهاءً وتميُّزاً في ميدان الالتضام الشكلي البنائي ؛ لابُدَّ من اظهار تعالُق الاتجاهين معاً في تركيبٍ واحدٍ ، أي تعاضُد حركيَّة علاقة التقابُل بحركيَّة علاقة التَّضاد لتشكيل وحدة أسلوبية لها أبعادها ورؤاها المُتشظيّة إلى مدياتٍ كثيرةٍ لجعل المُتلقي في دوَّامة اصطياد الدّلالات والمعاني المخبُوءةِ هُنا وهُناك . ومن ذلك توالي التقابُل والتَّضاد في نصِّه المُتعلّق بالوزير أبي مروان عبد الملك بن ادريس الخولاني وما جرى لهُ في مجلسِ المنصُور محمد بن أبي عامر ؛ وهذا واضحٌ في قوله : " ودخلَ ليلة على المنصُور ؛ والمنصُور قد اتكأ وارتفق ، وحَكى بمجلسه ذلك الأفق ، والدُّنيا بمجلسهِ ذلك مسوقة ، وأحاديث الأماني به مَنسُوقة ، فأمرهُ بالنزول فنزلَ في جُملةِ الأصحاب ، والقمر يظهرُ ويحتجبُ في السّحاب ، والأفقُ يبدو به أغرّ ثم يعود مُبهماً ، والليلُ يتراءى منه أشقر ثم يعود أدْهماً ، وأبو مروان قد انتشى وجالَ في ميدان الأُنس ومشى ، وبُردُ خاطره قد دبَّجه السُّرور ووشى ، فأقلقه ذلك المَغيب والالتياح ، وأنطقه ذلك السُّرور والارتياح فقال :

أرى بدرَ السَّماءِ يلوحُ حيناً فيبدو ثُمَّ يلتحف السَّحابا

وذلك أنَّــه لـمــا تـبدَّى وأبصر وجهَك استحيا فغابا " (١١) .

يتراءى لنا في هذا النَّص تجانُس التراكيب وتراصّها في بوتقةٍ واحدةٍ مُفضيةٍ إلى تماسُكٍ نصيٍّ لُغويٍّ مُفعمٍ بالحُمولاتِ الدلاليَّة ؛ وتأتَّى ذلك التماسُك من تداخُلِ علاقات التقابُل والتَّضاد معاً للتأسيس لوحدةِ الثِّيمة المُرادة

في هذا النَّص ؛ فالوزيرُ أبو مروان اصطاد من جلستهِ التي جمعتهُ بالمنصُور فِكرته التي بها سيدخل إلى قلبِ المنصُور ؛ وكانتِ الطبيعةُ مُلهمته في ذلك ؛ لذا ذهبَ ابنُ خاقان إلى توظيفِ العلاقتينِ مرَّة واحدة لتقويةِ التضامه الأُسلوبي وجعله مُؤدِّياً لفعل النَّفاذ في النُّفوس ؛ وقد بدأ ذلك من علاقةِ التَّضاد ليكونَ الانفراجُ في علاقةِ التقابُل (والقمرُ يظهرُ ويحتجبُ في السّحاب ، والأفقُ يبدو به أغرّ ثم يعود مُبهماً ، والليلُ يتراءى منه أشقر ثم يعودُ أدهماً) ؛ هذه الثلاثيَّة المُتضادَّة رسمتْ في ذهنِ أبي مروان ملامحَ صورة ممدوحه المنصُور ؛ فالقمرُ يظهرُ تارةً ويختفي خلفَ تلك السُّحب في تلك الليلة تارةً أُخرى ؛ وهي إشارةٌ إلى تماهي الرُّؤية لديه ؛ وذلك الأفق يبدو واضحاً لديه في أوَّل وهلته ؛ ثم ما يلبثُ أنْ يكونَ مُبهماً حائراً لا يهتدي إلى سِرّ ابهامهِ وغمُوضه ؛ ثم أنَّ الليلَ غير مُستقرٍ لديه فمرَّة مائلٌ إلى الشقرة التي تعلُوها الصفرة ؛ ومرَّة يعودُ أدهماً حالكاً في السَّواد ، وكُلّها إشاراتٌ ودلائِلٌ تُدلِّل على اختلالِ توازن الشَّاعر أبي مروان ذاتياً وعقلياً ؛ لأنَّه كان مسجوناً لمُدَّةٍ طويلةٍ من جهة ؛ ولأنَّه جالسَ في مجلسِ السِّيادة والقيادة من جهةٍ أُخرى ؛ فانْهزامه الدَّاخلي ولَّدَ لديه اضطراباً لُغويَّاً مُتضاداً تناسبَ وحجم الاختلاف بداخله . ولكنَّه بعد هذا الشَّد والجذب وتضاد العلائِق يأتي الانفراجُ في ساحةِ التقابُل وهي الضربةُ الأخيرة في التماسُك النَّصي ؛ لأنَّ الجُمل والتراكيب ستكونُ مُتجانسة مع حالةِ الثَّبات واعلان ما في جَعبته من مدحٍ فيه السُّرور والارتياح (وأبو مروان قد انتشى وجالَ في ميدان الأُنس ومشى ، وبُردُ خاطره قد دبَّجه السُّرور ووشى ، فأقلقه ذلك المَغيب والالتياح ، وأنطقهُ ذلك السُّرور والارتياح) ؛ فهُنا يتجوَّل في المجلسِ ويمشي بأناةٍ وكلاهُما (جال ومشى) يؤديان المعنى التقابُلي نفسه ؛ وكذلك الحال بالنسبة لـ(المَغيب والالتياح) ؛ فالمغيبُ يُثيرُ الهمَّ والحزنَ والشَّوق كما الالتياح ، وكذلك السُّرور هو قرينُ الارتياح فلا سُرور من دونِ ارتياح ، وبذلك ضربَ ضربتهُ الأخيرة بأبياتٍ ناسبتِ الموقف من أنَّ الخليفة كالبدر الذي يظهرُ ويختفي . وعليه حقَّق الالتضام غايتهُ الشكليَّة المُتراصة بسلَّةٍ معرفيَّةٍ واحدةٍ ؛ فالتَّضاد النَّفسي في أوَّل الأمرِ واستقراره في النهايَّة ؛ كشفته علاقات التَّضاد والتقابُل أسلوبياً ؛ فالمُبدعُ جعل المُتلقي مُتعلِّقاً بالأسلوب لا ينفصم عنه ؛ لأنَّ الوحدات اللُّغويَّة ما زالتْ تعمل تِباعاً والمعنى فيها غير مُكتملِ الوجود ؛ ممَّا يعني اكمال المُتواليات اللِّسانيَّة للوصولِ إلى القفلة المُفضيةِ إلى ايضاح المعاني .

ثانياً : التَّكرار

يُمثلُ التَّكرارُ أحدَ أدوات التماسُك الشكلي المُهمَّة ضِمن نظام الاتِّساق المُعجمي ؛ لما لهُ من خواصٍ مُتعدِّدةٍ تتأرجحُ بين التكثيفِ الشديدِ للمعنى واعطائهِ أهمية بالغة تجعلُ النَّص مُؤثراً وغنياً في افراز نواياه مِنْ جهة ؛ فضلاً عن جذب انتباه المُتلقي إلى قيمةِ التناغُمِ الايقاعيّ الحاصلِ بين تلك المُفردات ؛ وذلك لاعادتها في مساحةٍ ضيقةٍ وبتوزيعٍ اجناسيٍّ واشتقاقيٍّ ولفظيٍّ وغيرها من جهة أُخرى ؛ إذ إنَّ " تناوبَ الألفاظ وإعادتها في سياقِ التَّعبير يُشكلُ نغماً موسيقياً يقصدهُ النَّاظم في شعرهِ أو نثره " (١٢) . وتأتي أهميته كذلك من حيث أنَّه " يُسلطُ الضوءَ على نُقطةٍ حسَّاسةٍ في العِبارة ويكشف عن اهتمامِ المُتكلِّم بها " (١٣) . وهذا يعني تجاوز التَّكرار للمُفردات ، والعمل ضِمن دوائر أكبر تتمثلُ في تكرارِ الجُمل والعِبارات ؛ ممَّا يُدلِّلُ ذلك على قصديَّة المُبدع في إعادةِ التوازن الدّلالي لنصه في مساحة انتشارٍ كبيرةٍ تُفضي إلى تعدُّد المفهومات والمعاني وجعل النَّص كُتلةً جديدةً مُتعدِّدة الأطراف والمقاصد . وإذا ما جاء التَّكرارُ في غير محلهِ وكان العبثُ والهوسُ عنوانه فإنَّه لا يُحقِّق غاياته ؛ بل يكون أداةً مُتطفِّلةً لا طائِل منها سوى الضَّرب الايقاعي العام الذي لا قيمة له ، بل يجعلُ النَّص بعيداً عن رؤاه ومُعطياته ؛ لذا يجب على المُبدع تنويع مصادر تكرارهِ على نحوٍ يُسهمُ في زيادةِ

اللُّحمةِ بين المُفرداتِ والجُمل وصُولاً للاتِّساقِ العامِ والانسجام المطلوب الذي فيه الإشارات المُغنية والدّلالات المُفيدة ، فقيمةُ التَّكرار لا تأتي من إعادة المُفرداتِ والجُمل فحسب ؛ بل من تمثُرسها بسياقاتٍ أسلوبيَّةٍ رصينةٍ لها توجُّهاتها في الرَّصدِ والتوزيع والمُراوغةِ الدلاليَّة ؛ أي " ينبغي أنْ يكونَ التَّكرارُ ممَّا يتّسق مع السياقِ في معناه ومبناه ، لأنَّ مُخالفة ذلك يؤدّي إلى التناقض ويُخالف الانسجام الذي هو أساسٌ من أُسس الجمال " (١٤) .

وفي ضوءِ هذه المفهومات وما يبتيغه التَّكرارُ من جمالياتٍ تُهدي النُّفوس إلى مُبتغاها ؛ وجدنا اعتماد الفتح بن خاقان على خاصيَّةِ التَّكرار بوصفه رافداً أسلوبيَّاً له هُويته في استمالةِ ذهنيَّة المُتلقي للتوظيفِ المدرُوس الذي قصدهُ وحمَّله ما يُريدُ من أفكارٍ ومعانٍ ، ومن ذلك قولهُ بحق الوزير الكاتب أبو الفضل ابن حسداي : " سابقَ فبرز ؛ وأحرزَ من البلاغة ما أحرز ، وجرىَ في ميدانها إلى أبعدِ أمد ، وبنىَ أغراضها بالصّفَّاح والعمد ، فغبر وجُوه سوابقها ، وظهرَ أمام وجيهها ولاحقها ، إذا كتبَ انتسب إليه السحر أصحّ انتساب ، ونسق المُعجزات نسق حساب ، وأرى البدائع بيض الوجُوه كريمة الأحساب ، وقد كانت الذمّة(*) تقعده عن مراتب اكفائه ، وتجدُّ في طموس رسمه وعفائه ، وتُصرّفه تصريف المهيض ، وتقعِدهُ في ذلك الحضيض ، حتى ألحقه الله بأقرانه ، وأقاله من متجرِ خُسرانه ، فتطهَّر من تلك السِّمة ، واستظهرَ بعقيدته التي قيَّدت في ديوان الحق مرتسمة ، وبدتْ محاسنهُ سافرة القناع ، كافرة بذلك الدين الذي عدل بها عن الإقناع . " (١٥) . حاولَ ابن خاقان في نصه هذا جرّنا إلى بلاغةِ أسلوبه التي وضَّحت بلاغة الكتابة لدى الوزير ابن حسداي ، وهي مُفارقةٌ مدرُوسةٌ للتأمُّل الزَّائد في ثنايا النَّص وكشف مراميه ؛ وقد سجَّلَ التَّكرارُ بأنواعه (اللَّفظي ؛ والاشتقاقي ، والجناسي) حضوراً بارزاً للكشفِ عن هُويَّة الاتِّساق المُتحقِّق هُنا ، فالإستهلالُ أفرد لنا جُملة (وأحرزَ من البلاغة ما أحرز) ليكون الاستدلال على هذه البصمة قائِماً بذاته بعد التقصّي والتحرّي عن سبب هذا الاحراز . وتعزَّز هذا الاحراز المُكثَّف لمرَّتين بطقُوس الكتابةِ التي فيها السِّحر الجميل المُنتسب إلى رغبات كاتبه انتساباً (انتسب – انتساب) ، فالمصدرُ الاشتقاقيُّ انتسابٌ من الفعل انتسب زاد من رصيدِ التكثيف الدّلالي ، أي انقياد الكتابة لديه انقياداً وهو مُسيطرٌ عليها بكُلِّ مفاصلها ؛ وما يجعل التَّراص التركيبي أكثر تأثيراً ونفاذاً في النِّفوس هو توالي الارتباط الادائيّ الخاص بسحرِ الكتابة ؛ وأفصحَ عن ذلك قوله (ونسق المُعجزات نسق حساب) ، فهو لم يكتب إلاّ المُعجز الذي فيه التلوُّن والإيماء والشيء غير المألوف بدلالةِ مُفردة المُعجزات ، وما يجعلنا نلتفّ حول سياقه الأسلوبي للاستدلال عن ماهِية هذه الإمكانات اللُّغويَّة في الكتابة هو ذلك النسقُ الذي هو سلاحهُ في التوظيفِ والتنظيم وقد شبَّههُ بنسق حساب ، أي التدرُّج غير القابل للتفاوت كما في تسلسلِ الأرقام الحسابية ، وهي إشارةٌ إلى سلسلةِ العُقد المُنتظمةِ في المُتواليةِ اللِّسانيَّةِ التي تُومض بوجود نمطٍ مُنزاحٍ عن كُلِّ ما هو مُتواترٌ معروف ، وفي إطار هذا التشهير بقيمة ما يصنعهُ الوزير ابن حسداي فإنَّ هُناك من حاولَ التقليلَ من شأنه والنيل من ابداعه ؛ فراحَ ابنُ خاقان يُؤسّسُ لسلسلةٍ من التكراراتِ التي خلقتْ جوَّاً من المُقابلات المُتضادةِ لتحريك الذهنيَّة وشحنها ، فمُفردتا (تقعده وتصريف) اللَّتان تكرَّرتا مرتين في (تقعده عن مراتب اكفائه ، وتقعِدهُ في ذلك الحضيض) وكذلك الحال بالنسبة لـ (وتُصرّفه تصريف المهيض) ، قد خلقتا جوَّاً ايقاعياً مُتسارعاً مشحوناً بالضغط الدّلالي ؛ فالمذمَّة دفعتهُ ليتراجع عن الابداع ولم يكُن يُجاري أقرانه في ذلك بدلالةِ مُفردتي (المهيض والمحيض) ؛ فكلاهُما جعلتْ من فعل الكتابةِ ينزلُ إلى أدنى مُستوى كما الحضيض الذي هو في أسفلِ الأرضِ أي كناية عن الرَّداءة ؛ والشأنُ نفسهُ في المهيض أي المكسور والمرمَّم بعد الجبر لا طائِل منه وهي دلالةٌ على الضعفِ

والعجز ، وهذه المذمَّةُ صرفته بعيداً عن نواياه وقُدراته كما شاءوا وأرادُوا ، وهذه مفارقةٌ بين بداية الإبداع واحرازه السبق والرّيادةِ في الكتابة ، ثم أنَّ الانتكاسة والتراجُع عن السيادةِ احتاجت إلى قرارٍ حاسمٍ للبتِّ بينهما ورجحان كفَّة أحدهما على الآخر ، فكان التَّكرارُ الجناسي بدلالة (وبدت محاسنه سافرة القناع ، كافرة بذلك الدين الذي عدل بها عن الإقناع) الفيصلَ القاطع بإعادةِ روح التكثيف الدلالي إلى نصابهِ الأوَّل وهو تفرُّد الوزير بالإبداعِ والتنوير ، فكتاباتهُ أضحتْ واضحة المعالم ، لأنَّها أزاحت ذلك القناع الذي غطَّى الجماليات كما شاءوا وأرادوا ، ولم تعُد حججهم الاقناعيَّة تُؤدِّي فعلتها بحجب محاسنه في الكتابة ؛ فالقناعُ كشفَ زيفَ اقناعهم وتضليلهم وحجبهم حقائِق التفرُّدة والتميُّز .

كما كشفَ التَّكرارُ عن قوَّةِ الوزيرِ أبي الحزم وصلابته في معرضِ حديث ابن خاقان عنه في حادثةِ سيطرته على قُرطبة إذ قال : " وتوجَّهوا مع ذلك الإمام وألمُّوا بقرطبة أحسن إلمام ، فدخلوها بعد فتن كثيرة ، واضطرابات مستثيرة ، والبلد مقْفِر ، والجلد مُسفر ، فلم يبق غيرُ يسير حتى جبذ واضطرب أمره فخلع ، واختطف من المُلك وانتزع ، وانقضت الدولة الأموية ، وارتفعت الدولة العلوية ، واستولى على قرطبة عند ذلك أبو الحزم ، ودبّرها بالجدِّ والعزم ، وضبطها ضبطاً أمَّن خائفها ، ورفعَ طارق تلك الفتنة وطائفها ، وخلا له الجوّ فطارَ واقتضتِ اللُّبانات والأوطار ، فعادتْ له قُرطبة إلى أكمل حالاتها ، وانجلى به نوء استجلالاتها ، ولم تزلْ به مُشرقة ، وغصون الأمل فيها مُورقة . " (١٦) . حقَّق التَّكرارُ اللَّفظي والاشتقاقي ضربة توصيفية لمشهدِ السَّيطرة على قُرطبة ، واستبان ذلك جلياً بفعل التراصّ التركيبي الذي نسجَ خيوطه واستمكنَ من وظيفته الدَّالة على المعاني المُتواشجة فيما بينها ؛ فضرورة الحمْلة على قُرطبة تطلَّبت الإلمامَ بها من كُلِّ جانبٍ (ألمُّوا ، إلمام)؛ فجاءَ التَّكرارُ ليُعلنَ عن أهليته بالظهُور وبدء فاعليَّة الحركةِ في متنِ السياقِ الأسلوبي المُعضِّدِ لحركةِ الحَملة والتحرُّك بالجيوش ، وبعد السيطرة عليها (ضبطها ضبطاً) جاء التَّكرار ليُضفي جماليَّة التنسيق الادائي على الاتِّساق المُعجمي في النَّص كُلّه ؛ فلا خيار للعدو من التحرُّر من قيدِ الضبطِ المُحكمِ للقائد أبي الحزم ، لأنَّه عقدَ العزم على إنهاء الأمر وتأمين حال الناس والخائِفين منه ، فجُملة (ضبطها ضبطاً) أعطتْ زخماً معرفيَّاً ودلاليَّاً بتوالي المُفردتين مرَّة واحدة ؛ وكأنَّ التَّكرارَ يُفضي إلى حقيقة التماسُك والتنظيم الجاد في صفُوفِ أبي الحزم ؛ لأنَّه أنهى الفِتن والاضطرابات فيها عندما دخل قُرطبة ؛ ومُفردتا (الفِتن والاضطراب) تكرَّرتا مرَّتين كذلك واشارتهما من حيث التَّكرار واضحة ؛ فالفِتن والإضطراباتِ الكثيرة كانتْ قبل دخوله ، ولكن بعد دخوله قُرطبة جاءت مُفردة (الفتنة، اضطرب) للايحاء بدورهِ الفاعل في إحكام قبْضته الكاملة ولم تبق سِوى فتنة هُنا وهُناك واضطراب بسيط لا اضطرابات ، ولكي يكون التَّكرارُ مُعبِّراً عن صدى ابنِ خاقان في توصيفه للوزيرِ وفعله البطولي جاء التَّكرارُ الجناسي عبر الفعلين (انجلى ، واستجلى) ليكونَ المِفتاح الاجرائي الأخير للتعبيرِ عن حقيقةِ النَّصر واكمال مُهمَّة الفتح ؛ فبدخوله إلى قُرطبة انجلىَ فجرُ الأعداء وظهرَ أمرهم وفعلهم للعيان كما ظهرَ فعل أبي الحزم للجميع ؛ ولأنَّه أقوى وأقدر على تحقيقِ النَّصر الكامل فقد عزَّز رؤيتهُ بالاستجلاءِ الكاملِ للأشياء ، أي أنَّه استكشفَ قُرطبة وتعرَّف عليها مليَّاً ؛ وقد ظهرتْ له كاملة مِن دون عناء ، أي أنَّ الفعلين المُكرَّرين بتمثيل جناسي زادا من مشهدِ ضبطهِ للأمور لانجلاء الأشياء أمامه بل انكشافها كاملة مرَّة واحدة ، فالتَّكرارُ عبر الإلمام ثم الضبطِ والانجلاء والاستجلاء أخيراً خلق توازناً أدائيَّاً زادَ من لُحمة الاتِّساق المُعجمي الذي تواءم بدوره مع صورةِ المشهد التوصيفي منذ بدايته حتى نهايته .

ومِن الأمثلة التي أوردناها في سِجل الاتِّساق المُعجمي بنوعيه (الالتضام والتَّكرار) ؛ وما حقَّقاه من حمولاتٍ دلاليَّةٍ بعد التلاعُبات اللُّغويَّة في أنظمةِ السياقاتِ المُشكّلة للتماسُك الشَّكلي يُمكن بيان أهميتهما في خطابِ ابن خاقان بحسب الآتي :

١ – إنَّ سياقات ابن خاقان الاسلوبيَّة اتكأتْ على محورِ التماسُك الشَّكلي على نحوٍ لافتٍ للنظر ، لأنَّه اعتمد على السجعِ والتوازي الذي سحبه إلى منطقةِ العنايةِ بالتَّكرارِ والالتضامِ والإحالةِ والحذف وغيرها من أدوات التماسُك النَّصي في إطاره البنائيّ الشَّكلي .

٢ – مساحةُ اشتغال الالتضام بنوعية التقابُلي والمُتضاد كانتْ أكبر مِن مساحة التَّكرارِ نوعاً ما ، ورُبَّما يعودُ ذلك إلى تشظيّ المعاني في الالتضام نتيجة الايحاءاتِ المُنسجمةِ وغير المُنسجمة المُتبلورة في التقابُل والتَّضاد ؛ خلاف المعاني الواضحة في التَّكرارِ على العموم .

٣ – طبيعةُ العرض المُوجز المُتشاكلِ مع السَّجع الايقاعيّ للتعريفِ بالشَّخصيَّة ؛ زادَ من التكثيفِ البنائيّ الشَّكليّ بأدواته المُختلفة ولاسيما الالتضام والتَّكرار ؛ فخصوصيَّة الاقتضاب الوصفي وتضييق مجال المعلوماتِ جعلتْ ابنَ خاقان يلجأ للاقتضابِ المُتحقِّق في السياقات الاسلوبيَّةِ في هاتينِ الخاصيتين ، لأنَّهما يعملان في حدُود المُفردةِ والجُملة ، وهو ما يتوافقُ ومحدوديَّة الوصف لهذه الشَّخصيَّة أو تلك .

المحور الثاني : الانسجام (التماسُك الدلالي)

إنَّ من شروط النَّص الإبداعي هو توافُر العناصر البنائيَّة والدلاليَّة على نطاقٍ واسعٍ ، بحيث يُشكِّلان مع بعضهما كُتلة مُتراصَّة تُعبِّرُ عن نوايا الخِطاب برمَّتهِ والقصديَّة الحتميَّة التي بثَّها صاحِب النَّص ، فالنَّص المُبدع لا يكون في محورِ المقبوليَّة ما لم تكُن عناصرهُ وآلياتهُ مُتشاكلة على نحوٍ مُتميزٍ تتشظَّى منها الرُّؤى والدّلالات وتكون مقبولة ومُقنعة ، وهذا لا يتحقَّق بالتماسُك الأدائي الشَّكلي عبر الإحالةِ والحذفِ والعطفِ والاستبدالِ والاتِّساقِ المُعجمي وغيرها ؛ بل يتحقَّق بالتماسُك الدّلالي عبر الانسجام والترابُط بين المكوناتِ الشَّكليَّة الداخليَّة والمضامين العُرفيَّة الخارجيَّة ، أي اشتراك الدَّاخل النَّصي مع الخارج المعنوي لتأسيس بؤرة الخِطاب وتحميلها المَقاصد المطلوبة ؛ وعليه فإنَّ هذا التلاحُم يُمثل الالتئام " والتماسُك بين أجزاء الكلام ، ومُلائمة المعاني المُلائمة للمباني ، فهو مُكوَّن من الرُّكنين الجسد والروح ، فصناعة الجسد في قالبٍ لغويٍّ حسن ، أما رُوح الجسد فهو المعنى الكريم الذي يُناسب الألفاظ من ناحية ، والتحامه مع أخيه الذي يليه من المعاني . " (١٧) . وبحسب هذه الرؤية وبعد التعرُّف على التماسُك بطابعهِ الشَّكلي في المحور السابق ؛ لا بُدَّ لنا من تعزيز مفهوم التماسُك الدّلالي الذي يقومُ على مجموعةِ العلائِق المُتَّصلة مع بعضها في الإطارِ المضموني ولاسيما في انتمائه الخارجي ؛ بالإستناد إلى المُكوناتِ اللُّغويَّة والتراصَّاتِ التركيبية في التماسُك الشَّكلي البنائي ، ويتمثلُ التماسُك الدلالي بوجود علاقاتٍ مُترابطةٍ بين الجُملة الواحدةِ ومجموع الجُمل في السياقِ اللُّغوي العام ؛ بحيث تُشكِّل هذه العلاقة فُرصة للإستنباط والاستدلال المُبرمج ؛ لأنَّ المُتوليات اللِّسانيَّة المحبُوكة تُفضي بوجود بدايةٍ تُؤسِّسُ لنهاية ما ؛ ولا يُمكن تجاوز أي طرفٍ منهما ؛ وعلى وفقِهما يكونُ التعامُلُ بحذرٍ وتأنٍّ لاستخراجِ المكنُوناتِ والدَّوافع التي نشرتْ هذه الدّلالات على مساحةِ النَّص ، ويتمُّ

الاستدلالُ على التماسُك النَّصي عبر العلاقاتِ السَّببيَّة (السَّبب والمُسبِّب)، والعمُوم المُفضي إلى الخصوص وغيرها ؛ وهذا ما أشارَ إليه روبرت دي بوجراند بدقةٍ تفصيليَّةٍ إذ قالَ : إنَّ هذا النَّوع من التماسُك الذي أسماه بالالتحام " يتطلَّبُ من الإجراءاتِ ما تتنشط به عناصِر المعرفة لإيجاد الترابُط المفهوميّ واسترجاعه ، وتشتملُ وسائل الالتحام على العناصِر المنطقيَّة كالسَّببيَّة والعمُوم والخصوص ، معلومات عن تنظيم الأحداثِ والأعمال والموضوعاتِ والمواقف ، السَّعي فيما يتَّصلُ بالتجربة الإنسانيَّة ، ويتدعَّم الالتحام بتفاعُل المعلومات التي يعرضها النَّص مع المعرفةِ السَّابقةِ بالعالم . " (١٨) . وهذا يعني أنَّ المواقفَ والأحداثَ والمعلوماتَ في هذا النَّص أو ذاك تكونُ محكُومة بنسجٍ خاصٍ يُؤهِّلها لتحقيق مقصديتها الفاعِلة في توزيعِ الإشاراتِ والدّلالات على نحوٍ سليمٍ ، فبداية النَّص مُتَّصلٌ بخاتمته ، وسببُ هذه الجُملة محكُومٌ بالمُسبِّب لها ؛ وهكذا في دوامُةٍ مُتكاملةٍ من الالتحامِ والتَّرابُط الذي يبثُّه المُبدع في نصه ، وعلى وفقِ هذه الأهميَّة يُمكنُ دراسة التماسُك الدّلالي في خِطاب الفتح بن خاقان في خاصيتين مُهمَّتين هما السِّياق والتغريض.

أولاً : السِّياق

يُمثِّلُ السِّياقُ ركيزةً رئيسة لفِهم النَّص وتحديد أبعادهِ الدلاليَّة ، فهو الضَّامنُ الكفيل لجعل مُستويات النَّص مُنسجمةً في إطارٍ تنسيقيٍّ خاصٍ ؛ مَهمَّتهُ إحداث الأثر في المُتلقي وجذبه إلى ساحةِ الفهْمِ والتأويل ، فالبنيات المُكوِّنة للسِّياقِ اللُّغوي منها وغير اللُّغوي تتآلفُ فيما بينها لتشكيل أجزاءٍ مُتلاحمةٍ ومتواليةٍ لبثِّ رُؤاها وإشاراتها ، وكُلَّما كانتْ هذه البنيات مُتراصَّة ومُتواشِجة كُلَّما كان الانسجامُ أكثرَ ايغالاً في النّفوس ، وهذا يعني أنَّ السِّياقَ يتأرجحُ بين ما هو لُغوي داخلي أي مقالي ، وبين ماهو غير لُغوي خارجي أي مقامي ، وبوساطتهما يتحقَّقُ التماسُك النَّصي في بوتقة الانسجام " فالبُعد الدّاخلي يتعلَّق باللُّغة وتراكيبها من حيثِ موقع الكلمةِ بين أخواتها والهيئة التي ائتلفتْ فيها الكلماتُ مع بعضها ومكان هذه الائتلافات والتراكيب من الموضوع الجامِع لها ... والبُعد الخارجي يتمثَّلُ في الظروفِ والخلفياتِ المُحيطةِ بالنَّص سواء منها ما يتصلُ بالمُخاطَب أو المُخاطِب. وكذلك البيئة الزمانيَّة والمكانيَّة النابع منها النص ، وكذلك يشملُ الأُسس الفكريَّة والحياتية . " (١٩) . وفي ضوءِ هذين البُعدين يُمكنُ دراسة خِطاب الفتح بن خاقان على النحوِ الآتي :

أ – السياقُ اللُّغوي المَقالِي (العمُوم والخصُوص)

يُثيرُ الخِطابُ عبر تشاكُل أجزائهِ اللُّغويَّة ومُعطياتهِ المضمُونيَّة وتراصّهما معاً ؛ جدلَ التساؤُل والبحث عن هُويته للوصولِ إلى مراميهِ المُتجدِّدةِ والحيويَّة ، ففي إطارِ سياق الخِطاب نجد أنَّ هُناك بنيات كُبرى تُمثلُ البؤرة الأمثل التي تدُور حولها البنياتِ الصُّغرى وتعملُ على تعزيزِ دلالاتها ومعانيها ، أي يتقصَّد المُبدعُ في نصهِ خلق سياقاتٍ مُتعدِّدة الأطراف تكونُ إحدى هذه السِّياقات الرَّأس الذي يُسيطرُ على الأعضاءِ البنائيَّةِ كافة ، أي أنَّ البنيات والمُتواليات اللِّسانيَّة الصُّغرى ترتبطُ فيما بينها لتكونَ رافداً يصبُّ في مجرى البنيةِ الكُبرى المُؤسِّسةِ للفِكرة أو الثيمة الكُلِّية في النَّص ، وهذا يتطلَّبُ من المُبدعِ جُهداً استثنائيَّاً ليُحقِّق التوأمة المُناسبة بين العناصر جميعها ، وعليه فالاستمراريَّة الدّلالية " تتجلَّى في منظُومة المفاهيمِ والعلاقات الرَّابطةِ بين هذه المفاهيم ، وكلا هذين الأمرين هو حَاصِل العمليات الإدراكيَّة المُصاحبة للنَّص إنتاجاً وإبداعاً ، أو تلقِّياً واستيعاباً ، وبها يتمُّ حبْك المفاهيم من خلالِ قيام العلاقات على نحوٍ يستدعي فيه بعضها بعضا ، ويتعلَّق بواسطتها بعضه على بعض . " (٢٠) . وهذا يعني أنَّ هُناك جُمل لا رابط بينها لا تدخل ضِمن هذا المستوى

، بل فقط تلك التي يُؤسِّسُ بعضها لبعض ؛ وقد أشارَ صلاح فضل إلى الشَّيء نفسه عندما ذكرَ أنَّ النَّصَ الجيد ينبغي له أنْ يكون مُكوَّناً من جُملٍ مُتتاليةٍ لها دلالاتها الخاصة بها ؛ وهي في الأصل مُتقاربة المفهومات لتؤدِّي في النِّهاية التلاحُم الذي تتطلَّبه البنية الكُبرى (٢١) ، المُؤسِّسة لثيمة النَّص كُلاً ، أي تعالُق المُتواليات اللِّسانيَّة على وفقِ معادلاتٍ مدروسةٍ غرضها احداث النَّقلة النوعيَّة في المفهومات التي ترغبها تلك الذِّهنيَّة المُتقدة التوَّاقة للانفتاح والشمولية ، وهذا ما تحقَّقَ في خِطاب الفتح بن خاقان ، ومن ذلك قولهُ بحقِّ الوزير الكاتب أبو محمد بن عبد الغفور في القلائِد : " قد كنتُ نويتُ ألاّ أُثبت له ذكراً ، ولا أعمِل فيه فكراً ، وأدعَهُ مُطّرَحاً ، وأقطِعهُ الإهمال مسْرحاً ؛ لتهوُّره وكثرة تقعُّره ؛ فإنَّه كان بادي الهَوج ، وعِر المنهج ، له الفاظٌ متعقِّدةٌ ، وأغراضٌ عيرُ متوقِّدةٍ ، لا يُفكُّ مُعمَّاها ، ولا يُعلم مرْماها ، مع نفسٍ فاسدة الاعتقاد ، ثابتةِ الأحقاد ، وتتنكّدُ بالأفراح ، وتحسُدُ حتَّى على الماء القَراح ...أستغفرُ الله ، إلاَّ نظْمهُ فرُبما ألمَّ فيه بالبدائع إلماماً ، وأمسك لها زماماً ، وصرَّف فيها لساناً صناعاً ، وأسال لها بالمحاسن تِلاعاً ... فقد علم الله أنِّي أنحرفُ عن التعليل ، وأغفرُ الكثير للقليل ، وأتغافلُ في الهَناتِ لذوي الهيئاتِ ، وآخذُ الحسنة من أثناء السَّيئات . " (٢٢) .

يتراءى لنا في هذا الخِطاب أنَّ الدلالة المركزيَّة التي تُمثِّلُ البؤرةَ الدَّالة على العمُوم ؛ قد تعالقتْ فيها مُتواليات لسانيَّة مُنشطرة إلى بُعدين مُكمِّلين لها بعد استنادهما إلى التَّخصيص الرَّافد للعمُوم ، فالمُتواليةُ اللِّسانيَّة العامة (قد كنت نويتُ ألاّ أُثبت له ذكراً ، ولا أعمِل فيه فكراً ، وأدعَهُ مُطّرَحاً ، وأقطِعهُ الإهمال مسْرحاً) مثَّلت الدّلالة المركزيَّة في إطارِها التوجيهي المُضاد ؛ فالجُمل تدلُّ على ازدراءِ صاحِب الخِطاب من هذه الشخصيَّة وعدم قناعتهِ بادخاله ضِمن تصنيف كتابه ؛ والجُمل تُبرهنُ على قساوةِ الإقصاء والتهميشِ ، ممَّا يتطلَّبُ ذلك تعليلاً يدخُل في بابِ الخصُوص والجزئيَّة ليستفهم المُتلقي عن سرِّ الاستهلال المُتشنِّج ؛ وقد جاءَ الرَّدُّ على شقَّين الأول يخُصُّ تعقيدهُ وتهوُّره وتقعُّر مفاهيمه وأساليبه ، والثاني يخُصُّ نفسه الفاسدة الحاقدةِ النكِدة وغيرها من الأوصاف ؛ وهذا ما يُمثِّلُ جوهرَ التعالُق النَّصي لتشكيل الخِطاب برمَّته ؛ فبؤرةُ الدّلالة المركزيَّة اتضحتْ شفراتها بعد بيان التَّخصيص الذي فكَّ المُستغلق عن التهجُّم الحاصلِ في بداية الخِطاب ؛ أي أنَّ الخِطابَ شكَّلَ مُحتواهُ المفهومي ورؤاه الدَّالة على المعاني عبر قناةِ الاتصال في المُتواليات اللِّسانيَّةِ التي أفصحتْ عن كينونةِ الأمر كُله ؛ فالخصُوص تَرجمَ لنا العمُوم ومنهما أصبحتِ المُعطياتُ في الخِطاب تتَّجه نحو مَضانها الصحيح وهو ما يُمثِّلُ لنا البُعد الأول ، أما البُعد الثاني فيُمكن لمسهُ عبر الجزئيَّة الثانية المُتَّصلةِ بجزئيَّةِ البُعد الأول ، فبعد التَّعليل الذي بيَّنَ سبب عدم نيَّة الكاتب بتضمين هذه الشَّخصية في كتابهِ لأسلوبه المُتقعِّر واخلاقه الرَّديئة ؛ جاءَ البُعدُ الثاني ليُعيد الخِطاب إلى نصابهُ الأوَّل بدلالةِ عبارة (قد كنت نويتُ ألاّ أُثبت له ذكراً) ؛ فالكاتبُ ضمَّنهُ في كتابهِ ولكنَّ هذا الأمرُ يحتاجُ إلى تفسيرٍ أو تعليلٍ لاقناع المُتلقي بالتناقُضِ الحاصلِ بين الرَّفضِ الأولي والقبول الثاني ، وقد استبانَ الهدفُ المنشود باستثناء شعره الذي خرجَ من دائرة اتهامه ؛ فالاتهام بسُوء الشَّخصيَّة الذي مثَّل خِطاباً عاماً عُولج بهذا الاستثناء المُحبَّب الذي مثل خِطاباً على الخصُوص ، وقد بيَّن فيه جمالية هذا الشِّعر وخصائصه الحسنة ؛ ليعُود قبل ختامِ خِطابه الكُلّي ليُؤكِّد أنَّه يستخرج الحسنة وهي هُنا الشِّعر من السيئاتِ التي هي جمعٌ يُفضي إلى أشياءٍ كثيرةٍ على صعيدِ الفِكر والحياةِ اليوميَّة والتصرُّف والأساليب ، أي أنَّ اعتبارَ الشِّعر حسنة يَدلُّ على جزئيَّةٍ قليلةٍ من سيئاتٍ كثيرةٍ . وهذا بجملته جعلَ خِطابَ ابن خاقان مُتماسكاً في الاداء الشَّكلي الذي أفرزَ سلسلةِ توضيحاتٍ بشأنِ

الدّلالةِ المركزيَّة ، ومُتماسكاً دلالياً بعد توالي المفاهيم الدَّالة على التعالُق الجادِّ فيما بينها للوصُول إلى المرامي النَّهائيَّة التي يرغبُ المُتلقِّي بتلقِّيها وقبولها والتفاعُل معها .

ب – السياقُ غير اللُّغوي المَقامي (السَّبب والمُسبِّب)

لا يعتمد هذا النَّوع من السِّياقات على الأداءاتِ اللُّغويَّة بقدر ما يعتمد على التَّرابطِ الدّلالي بإطارهِ الشُّعوري العاطفي ، وهو ما يكونُ في المظهرِ الخارجي تحديداً ، فالمُتلقي الحاذق يستشفُّ من ظُروف النَّص وملابساتهِ الخارجيَّة المُختلفةِ والمُتباينة في مضمونِها ومُحتواها تشكيلَ نسق المقامِ وهيمنته على النَّص كُلّه ، أي يضعُ يدهُ على حُدود المظهرِ الخِطابي ذي التوجُّه الأُحادي مُنذ البدايةِ حتى النِّهاية ، للوصول إلى مرامٍ قريبةٍ من المفاهيمِ المبثوثة في النَّص والتفاعُل معها بمقدارِ التأثير والتأثُّر (٢٣) . ولكي يكونَ النَّص أكثر تأثيراً عليه العِناية بالمُعطى المقامِي أكثر من الأداءِ المقالِي اللُّغوي ؛ مع امكانيَّة الإستناد إليه ومُراعاة أساليبه البنائيَّة ، ممَّا يعني فرصة الحصُول على قدرٍ كبيرٍ من الدّلالاتِ والمعاني التي تتخفَّى خلفَ الأداءاتِ اللُّغوية ، لأنَّ المقامَ لا يُفهم إلاَّ في ضوءِ سياقاتهِ الخارجيَّةِ وعناصرهِ المُكونة له ولاسيما المُتلقي الذي يُقلِّب أوراقهُ التأويلية للبحثِ عن مكنوناتٍ جديدةٍ لها حظوتها وحضُورها ، وعليه فإنَّ هذا النَّوع من السياقِ بمستواه الانفعالي العاطفي " هو الذي يُحدِّدُ طبيعة استعمال الكلمةِ بين دلالتها الموضُوعيَّة ، ودلالتها العاطفيَّة ، ويُحدِّدُ السياقُ العاطفي أيضاً درجة الانفعال قوَّة وضعفاً ، إذ تُنتقى الكلماتُ ذات الشَّحنة التعبيرية القوية . " (٢٤) ، أي تلك الكلمات والجُمل والعبارات التي تتناسبُ مع الموقفِ المعروض ، لأنَّ الموقفَ هو الذي يُحدِّدُ نوعَ الأسلوب الذي يُستعمل والطُّرق الكفيلة لانجاح رُوح المُحاورةِ بين الأطراف .

هذا النَّوعُ من السياقِ كان حاضراً في خِطاب ابن خاقان في كتابيه ، إذ من خلاله ركَّز ابنُ خاقان على رُوحِ الشَّخصيَّة ومُرتكزاتها المعرفيَّة والانفعاليَّة ، وكشفَ بوساطته عن جُملةِ المفاهيم التي تتَّصلُ بسلُوكها ، حتى أنَّ المُتلقي يكونُ على درايةٍ بتفاصيل الموقفِ وسلوك الشخصيَّة من أوَّلِ العِبارات المُتشكلة ؛ ويرسمُ في ذهنهِ الصورة التي تتطابقُ بعد اكمالِ النَّص ، ومن ذلك نذكرُ ما قالهُ بحق الفقيه العالم أبو عمر أحمد بن عبد ربِّه : " عالِمٌ سادَ بالعِلم ورأس ، واقْتبس به من الحُظوة ما اقتبس ، وشُهر بالأندلس حتّى سار إلى المشرقِ ذِكرهُ ، واستطارَ شررَ الذَّكاء فِكرهُ ،وكانت له عنايةٌ بالعلم وثِقة ، ورواية له مُتَّسقة ، وأمَّا الأدبُ فهو كان حُجَّته ، وبه غَمرت الافهام لُجَّته ، مع صيانةٍ وورع ، وديانة ورد ماءها فكرع ، وله التأليف المشهور الذي سماه بالعِقْد وحماه من عثرات النقد ، لأنَّه أبرزه مثقّف القناة ، مُرهف الشّباة ، تقصر عنه ثواقب الألباب ، وتُبصر السِّحر منه في كُلِّ باب ، وله شِعر انتهى مُنتهاه ، وتجاوز سماك الإحسان وسُهاه . " (٢٥) .

يحملُ النَّص بين طياتهِ ملامحَ الانسجام المُتكامل ؛ لتعاضُد السِّياق العاطفي فيما بينه لاخراج صورة الشَّخصية بهذه الكِياسة والفهم ، فالفقيهُ عالمٌ وهي نقطة البدايةِ لتأسيسِ الأشطُر الأُخرى لتعليل هذه العلمية ، واستبانَ ذلك بترابُط فكرة علمهِ العام واشتهاره في الأندلس والمشرق معاً مع تناسُب تطايُر الشَّرار الذَّكائِي مع سُرعةِ الاشتهار والإنتشار ، ثم تخصيص قدرته العلميَّة بالأدبِ الممزوجِ بالدِّيانة والورع ؛ وصُولاً إلى جُزئيَّةٍ حقَّقَ من خلالِها ذاته ألا وهي شِعرهُ الذي بلغَ فيه غاية الإحسان وتجاوزَ فيه الآخرين باقتدارٍ ، ولإجادته في الشِّعر خاصة وفي الأدبِ عامة فإنَّه قد بلغَ منزلة العلم ، وقد كسبَ صاحِب الخِطاب ذهنيَّة

المُتلقي لتشخيص التعالُق الدّلالي باطارهِ العاطفيّ لا اللُّغوي وتواشُج المفاهيم بعضها ببعض ؛ واتضحَ ذلك من العِبارة الأُولى (عالِمٌ ساد ، ورأس ، وله حظوة) هذه الثلاثيَّة أفضتْ إلى ما يأتي :

١ – اقترانُ الثُّلاثيَّة اللَّفظيَّة بثُلاثيَّة التماسُك الدّلالي (العلم ، والأدب ، والشِّعر) ، فهُنا توازنٌ فِكْريٌّ يُدلِّلُ على تشابُك الرُّؤى المعرفيَّة لتحديد طبيعة الشَّخصية وسلُوكها ، فطبيعة العِبارة الاستهلاليَّة أفصحتْ عن كينُونةِ الاستدلال للبحثِ عن هُويَّة التَّرابُط العاطفي الذي سيكشفُ هذا التشكيل .

٢ – اقترانُ السِّيادة بالعِلم عمُوماً بوصفهِ ميداناً كبيراً له تشعُّباته ، إلى جانب اتصالِ الترؤُّس بالأدبِ ؛ لأنَّهُ حجَّته أي اقتداره على ايصالِ مُبتغاه عن طريقِ حججه ووسائل اقناعهِ الخاصَّةِ بسبب أساليب الأدب المُتنوّعة ، ولقوَّةِ أدبه فإنَّ حظوة شِعره كانت أكثر إيغالاً في النُّفوس .

٣ – سارَ السِّياقُ على مساحةِ النَّص على وتيرةٍ دلاليَّةٍ واحدةٍ من حيث عدم خرُوجه إلى موضُوعاتٍ أُخرى تتَّصلُ بعقيدتهِ أو علاقاتِهِ أو مواقفهِ وغيرها ؛ وتمثَّل ذلك بالتركيزِ على العِلم بجوانبهِ العامَّةِ والخاصَّةِ ؛ لأنَّ الأدبَ والشِّعرَ هُما ميدانان من ميادين العِلم على العُمُوم .

وفي الاجمالِ استطاعَ ابنُ خاقان كسبَ المُتلقي إلى جانبهِ للكشفِ عن هُويَّة السِّياق ومدى انسجامه لتشكيل التماسُك الدّلالي ، وجعلَ النَّص برُمَّته مُتصلاً برقابِ بعضه بعلاقةِ سببٍ ومُسبَّبٍ ؛ فالشِّعرُ سببٌ لمُسبَّبه الأدب ، والأدبُ سببٌ لمُسبَّبه العِلم ؛ وهذا يعني بقاء الشّعور العاطفي في دوَّامةٍ من الاتصالِ لربطِ الكينونات المعرفيَّةِ الجُزئيَّة ببعضها الآخر وصُولاً إلى البنيات الأكثر والأكثر عمْقاً وسلطة وتداوُلاً .

ثانياً : التغريض

يُمثِّلُ التغريضُ أحدَ العناصر المُهمَّة المُكوِّنة للانسجام ؛ فبوساطتِه يستطيعُ الخِطابُ ايصالَ دلالاتهُ واشاراتهُ المعرفيَّة على نحوٍ مقبُولٍ ومفهومٍ في الوقتِ نفسه ؛ على الرغمِ من الإلتواءاتِ في البناءِ اللُّغوي ، وهذا يعني أنَّ التغريضَ يجعلُ المُتواليات اللِّسانيَّة في نمطٍ حركيٍّ يتعالُق فيه السَّابق باللاحِق ؛ ويكونُ السَّابقُ مِفتاحاً اجرائيَّاً يُزيدُ الطَّاقة التأويليَّة لمعرفةِ الجُمل التَّابعة له ؛ وهذا يعني " أنَّ الخِطابَ القابل للفهمِ والتأويل هو الخِطابُ القابل لأنْ يُوضع في سياقه . " (٢٦) ؛ فسياقُ التغريض يُفضي إلى وجود روابط بين العُنوان والموضُوع ؛ أو بين مطلع النَّص وبنائهِ المُتكامل ؛ وما نحو ذلك من الارتباطاتِ التي من شأنها تدعيم ثِيمة الخِطاب وجعلها شمُوليَّة ومقبُولة ، وقد أشارَ محمد خطابي إلى هذا الأمر بقوله : " ينبغي أنْ نُميّزَ بين التغريضِ كواقعٍ وبين التغريضِ كإجراءٍ خطابيٍّ يُطوَّر ويُنمَّى به عُنصرٌ مُعيَّنٌ في الخِطاب ، وقد يكونُ هذا العُنصر اسم شخصٍ أو قضيَّةٍ ما أو حادثة . أمَّا الطُّرُق التي يتمّ بها التغريض فمُتعدّدة نذكرُ منها : تكرارُ اسم الشَّخص ، واستعمال ضمير مُحيل إليه ، تكريرُ جُزء من اسمه ،استعمال ظرف زمان يخدم خاصية من خصائِصه ، أو تحديد دور من أدوارهِ في فترةٍ زمنيَّةٍ . " (٢٧) . وبوساطة هذه الطُّرُق نستطيعُ بناءَ القناعاتِ الهادفةِ والتوقُّعات البنَّاءة حول الخِطاب الذي نقرأهُ ، لأنَّ الثِّيمة المُنتقاة والمُستخرجة هي نسيجُ التوالُدات المعرفيَّة المُتتالية في السياقِ ؛ وبتضافُر المُتواليات اللِّسانيَّة بحركيتها تُترجمُ الدّلالاتُ وتتَّضحُ معالمها على وفقِ نمطيةِ التعالُق المُنسجم بتراتُبيةٍ تصاعُدَّيةٍ ، وخُلاصة الفِكرة " أنَّ التغريضَ عُنصرٌ من عناصرِ تحقُّق الانسجام ، فهو يمنحُ المُتلقي توقعات حول موضُوع النَّص ، فالعُنوانُ وسيلة خاصة قويَّة للتغريض ، وله وقعٌ

خاصٌّ على المُتلقي اثناء قرآءته ، فهو نقطة بداية لدراسةِ أي نصّ ، كما له دورٌ في تحليلِ عُنوان الموضُوع . " (٢٨) . وبحسب هذه الأهميَّة فإنَّ السَّيطرة على مفاصِل الخِطاب ومعرفة توجُّهاته وانطباعاته تتمُّ بوساطة التغريض ، لأنَّهُ يجعلُ المُتلقي يتحرَّك بحُرّيةٍ داخل النَّص وربط عناصِره للوصُول إلى الأهدافِ والمعاني التي أُريد لها أنْ تكونَ حاضرة في ثِيمة الخِطاب ، وفي ضوءِ هذا الانسجام وما يُمليه على الخِطاب من تماسُكٍ دلاليٍّ له رُؤاه القصديَّة يُمكنُ بيانُ هذا النَّوع من الانسجام على وفقِ الآتي :

أ – ثُنائية الموضُوع (علاقةُ الموضُوع بالمطلع)

يُبنى الخِطابُ أثناء تشكيلهِ على ركائِز مُتعدِّدة النَّوايا والحُمولات الدّلاليَّة ؛ هدفها تحقيق الإثارة وزيادةِ فاعليَّة التَّنوُّع الفِكري لدى المُتلقي ، فالمُتلقي بعد قراءته للنَّص ومُعايشته له ورصد مسالك الخِطاب المُنتج من عدمهِ يكونُ على دِرايةٍ تامَّةٍ بحركيَّةِ التوزيع العالي للمَعاني والدّلالات ، ويقومُ بالإفادة منها بحسب ما يقتضيه ذوقهُ وفلسفتهُ الخاصة ، ثم يُحاولُ جاهداً تشكيلَ مفهومات أُخرى جديدة رُبَّما تكونُ مُغايرةً لما رصدهُ وتعاملَ معه ، وهو بهذا يُصبحُ مُنتجاً آخر لا مُستقبلاً مُحايداً ، ومن خلالِ قراءته الفاحِصةِ ونظرتهِ الجوَّالة يصلُ إلى جوهرِ المعرفة الكامِنة في الانسجام المُؤدِّي إلى التماسُك الدّلالي عبر القرآئِن الفكرية والإشاراتِ التَّرابُطيَّة بين الوحدتين المُنسجمتين كالعُنوان والمتن ، أو المطلعِ والمتن ، وما نحو ذلك ، وفي هذا الإتجاه تجسَّدَ في خِطابِ الفتح بن خاقان هذا النَّوع من الانسجام القائِم على شطرينِ مُنفصلين في السِّياق العام ، ومُتصلين في السِّياق المعرفي ، ومن ذلك نذكرُ ما قالهُ بحقِّ الفقيه أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الخُشَنيّ : " كانَ فصيحَ اللِّسان ، جزيلَ البيان ، وكان أنُوفاً مُنْقبضاً عن السُّلطان لم يتشبّث بدُنيا ، ولم يُنْكث له مُبْرم عليا ، دعاه الأمير محمد إلى القضاء فلم يُجب ، ولم يُظهر رجاءَه المُحتجِب ، وقال : أبيتُ عن أمانة هذه الدياة ، كما أبت السَّموات والأرض عن حمل الأمانة ، إباية إشفاق لا إباية عصيان ونفاق ، وكان الأمير قد أمر الوزراء بإجباره ، أو حمل السيف إن تمادى على تأبّيه وإصراره ، فلمَّا بلغه قوله هذا أعفاه ، وكان الغالب عليه علم النَّسب ، واللُّغة والأدب ورواية الحديث ، وكانَ مأموناً ثقة ، وكانتِ القلوبُ على محبَّته متَّفقة . " (٢٩) .

استطاعَ ابنُ خاقان هُنا إحكام قبضته على التماسُك الدّلالي من خلال الانسجام المعرفي الذي توزَّعَ على ثُنائيات في ثلاث ركائِز هي في الأصلِ مُتواشجةٌ ومُتصلة مع بعضها الآخر ، أُولى هذه الثُّنائيات هي الثنائيَّة المُتشاكِلة فيما بينها وهي ثُنائيَّة المطلع (وكان أنُوفاً مُنْقبضاً عن السُّلطان لم يتشبّث بدُنيا ، ولم يُنْكث له مُبْرم عليا) الدَّالة على الرَّفضِ والتنزّه عن التقرُّب من الجاهِ والسُّلطان ، والتي مثلتْ بداية بناء القناعات والتكهُّنات بما سيؤول إليه الأمرُ ، أي البحث عن التعليلِ المُناسب للرَّفضِ ومعرفة النَّوايا التي دفعتْ بهذا الإتجاه ، وتحقَّقتِ الاجاباتُ للتساؤلاتِ التي دارتْ وتدورُ في ذهنِ أي قارىء عندما عزَّزَ ابنُ خاقان قناعات الفقيه برفضهِ لتولّي المهام في الدَّولةِ بدعوةِ الأمير له ؛ ورفضُ الفقيه المُمنهج كان قائِماً على الورع والتديُّن والخوف من عواقبِ السُّلطة ، فهو لا يحتمل هذه الأمانة كما لم تحتمل السَّموات والأرض للأمانة ، وهذا يعني أنَّ التماسُك الدّلالي استبانَ بفعل الرَّفض المبني على التديُّن والتزهُّد في الدُّنيا ، ولكي يكون الانسجامُ أكثر حضُوراً وتحقيقاً للتماسُك الدّلالي تبلورتْ إشاراتُ الثقافة المعرفيَّة لتنسجم بين المَطلع والمتن في ثُنائيَّة ثانية ، فالمُطلعُ الذي استُهلَّ بركيزةِ العِلم وقوَّة اللِّسان (كانَ فصيحَ اللِّسان ، جزيل البيان) ارتبطَ ارتباطاً كبيراً بمُخرجات النَّص في نهايتهِ عندما قرَّبَ ابنُ خاقان بين فِكرة فصاحة لسانهِ الدَّال على العِلم باللُّغة في المطلع

من جهة ، وبين تنوُّع رغباته في العلُومِ المُناظرة لفصاحةِ اللِّسان من جهةٍ أُخرى (وكانَ الغالبُ عليه عِلم النَّسب ، واللُّغة والأدب ورواية الحديث) ، وهذه إشارةٌ بنائيَّة أُخرى لانسجام النَّص وتوحُّد أركانه بُغية الوصُول إلى طاقةٍ تأويليَّةٍ أكبر تُحقِّقُ التماسُك ، ولزيادةِ اللُّحمة الدّلاليَّة وتوزُّع المضامين على مساحةٍ أوسعٍ حرَّكتِ الثنائيَّة الثالثة فاعِلية تشخيص مكنونات الشَّخصية على نحوٍ أعمق ، فرجل أبى الدُّخول في مُعتركِ السياسة بجاهِها ومغانِمها ؛ وتركَ مُغريات الدُّنيا وملذاتها دفعَ نحو معرفةٍ شاملةٍ كفيلةٍ بنشر ومَضات تُناسب هذا الزُّهد ؛ وتبلورَ ذلك جلياً في نهاية النَّص (وكانَ مأموناً ثقة ، وكانتِ القلوبُ على محبَّته متَّفقة) ، أي أنَّ زُهد الفقيه في الحياةِ وابتعادهِ عن مكاسب السُّلطان يُفضي بنا لأنْ نقول بحقه أنَّهُ انسانٌ ذو ثقة ولثقتهِ وورعهِ فإنَّ النُّفوسَ تميلُ إليه وتحبَّه . وهذه مُتوالية دلاليَّة لا لِسانيَّة جعلتْ من الانسجامِ كُتلة مُكتملة تُفصح عن اكتمالِ تماسُكها وبنائها المعرفي ، فالمحاورُ الثلاثة المُتشكِّلة من الرَّفض وتعليله ، ومن تراكُم الخبرات المعرفيَّة بسبب العِلم والأدب ، وأخيراً زهده المُفضي إلى ثقتهِ ومحبَّته ؛ عملتْ على جعل النَّص وحدة منطقية لا انفصام فيها ؛ مُتأرجحة بين الثُّنائيات المُتصلة بسلسلةٍ دلاليَّةٍ إشاريَّةٍ متجاورة ؛ هدفها على العُمُوم إثارة المُتلقي وجعلهُ على مقربةٍ من الاستدلالاتِ التي تظهرُ له بعد التفحُّصِ والقراءة المُتمعِّنة الهادفة التي تُوصل إلى الغاياتِ والنتائج المرغوبة .

ب – أُحادية الموضُوع

إذ كانتْ ثُنائيَّة الموضوع مبْنيَّة على ازدواجيَّة تحصيل الدّلالة عبر الانسجامِ الفِكريّ الحاصِل في اتونِ النَّص وتفاصيل الخِطاب ؛ فإنَّ الأُحاديَّة تُمثِّلُ جوهراً فكريَّاً يبعثُ إلى التأمُّل والاستعلام المُباشر عن حُدود الدّلالة المُتشاكلة في منظومةٍ فكريَّةٍ واحدةٍ ، ممَّا يعني سيطرة الدّلالة على وحدةِ الموضُوع وجعلها نظاماً مُنسجماً يُحقِّقُ الغايات المرجوة منه ، وتوزَّعَ هذا النَّوعُ من التماسُك الدّلالي في نصُوصِ ابن خاقان في كتابيه قلائِد العقيان ومطمح الأنفس ، ومن ذلك نذكرُ قولهُ بحق الفقيه أبو عبد الله بن أبي زمنين : " فقيهٌ مُتبتِّل ، وزاهدٌ لا منحرف إلى الدُّنيا ولا مُتنقِّل ، هجرها هجر المُنحرف ، وحلَّ أوطانه فيها محل المُعترف ؛ لعلمه بارتحاله عنها وتقويضه ، وإبداله منها وتعويضه ، فنظر بقلبه لا بعينه ، وانتظر يوم فِراقه وبيَّنه ، ولم يكن له بعد ذلك بها اشتغال ، ولا في شِعاب تلك المسالك إيغال ، وله تواليف في الوعظ والزُّهد وأخبار الصالحين تدلُّ على تخليته عن الدنيا واتراكه ، والتَّفلُّت من حبائل الاغترار وإشراكه ، وشعره يدلُّ على التأهُّب للإرتحال ويستدل به على ذلك الانتحال . " (٣٠) .حاولُ ابنُ خاقان هُنا السَّيطرة على ذهنيَّةِ القارىء بفعل التكثيف الدّلالي المُتمحور حول موضُوعٍ واحدٍ ؛ وقد وصلَ إلى هدفه المنشود بعد عقده تصالُحاً معرفيَّاً مُهمَّاً بين الترتيبِ المنطقي الذي يعملُ في وحدةِ الانسجام ؛ وبين زيادةِ التكثيف الدّلالي نتيجة الإشارات المُنوَّعة المُفضية إلى التماسُك ؛ فالنَّص يدورُ حول مِحور زُهد الفقيه وتخلّيه عن الدُّنيا واعراضه عن ملذاتِها لعلمه بفناءِ الدُّنيا وزوالها ، وما يبتغيه من النَّعيم موجودٌ في الجنَّة بعد الارتحال عن الدُّنيا وما فيها ، ولجودةِ السَّبك ووحدةِ الانسجام لم يترك ابنُ خاقان النَّص ليُشير إلى دلالاتٍ أبعد ؛ بل ركَّزَ في الثِّيمة على ما يتناسب وهذا المقام ؛ فلهذا أشارَ إلى أنَّ الفقيه نظرَ إلى الدُّنيا بقلبهِ لا بعينه في إشارةٍ إلى سيطرةِ العقل عليه واحتكامِه لأوامره وفعل مُقتضيات مُخرجاته ، وهذا طريقٌ كفيلٌ بالسَّيطرة على المشاعِر لترك الملذَّات ، كما رفدَ هذه الثِّيمة بثيمةٍ مُجاورةٍ وهي تمكُّنه من الدُّنيا وعدم خوفهِ من الآخرة ؛ لهذا فهو يطلبُ الارتحالَ مُسرعاً نحو مُبتغاه ومُناه لملاقاة ربَّه الكريم ، ولكي يُزيد الانسجام قوَّة ويجعلهُ كفيلاً لبثِّ اشاراتٍ ومكنُونات المعاني

المُتَّصلة بالموضُوع العام نجدهُ يُركّزُ على التأليفِ الذي عُرف به وتأكيدهُ على سِمة الوعظِ والزُّهدِ وذكر أخبار الصالحين ؛ فمؤلفاته تدلُّ على سلُوكه وشخصهِ لأنَّها نابعة من نفسٍ عُرفت بالورعِ والقناعةِ وترك الملذَّات ؛ وللتأكيدِ على جوهر الدّلالة وسيطرتها على النَّص نجدهُ في اشارتهِ إلى شِعره انَّه لا يُعرّج إلى قيمته الأدبيَّة وفحواه الفِكري وموضُوعاته المُعالجة للقضايا الإنسانيَّة ؛ بل انَّه أكَّدَ على سِمة تضمُّنه على التأهُّب للارتحال ، ليكونَ بذلك مُوحداً لفِكرة النَّص من بدايته إلى نهايته . وفي إطارِ هذه التناغُم المُتواشج والاتصالِ بقنواتٍ مُتواليةٍ حقَّقَ صاحِبُ الخِطاب بصمتَهُ الدّلالية باستِمالة عقُول المُتلقّين وجعلها على درايةٍ بما سيؤول إليه الخِطاب مُنذ الاستهلال . وهذا يعني أنَّ سُلطة الانسجام قادرةٌ على تلوين الأداءاتِ تارةً وتوحيدها تارةً أُخرى ، ممَّا يعني مُسايرة مُتطلَّبات الخِطاب وتوجُّهاته نحو هدفه في الإثارةِ والمُتعة .

الخاتِمة

بعد أنْ خضنا غمارَ التَّعايُش اللُّغوي مع الأساليب الرَّصينة الدَّالةِ على التماسُك النَّصي ؛ وقراءة الأنواع المُختلفة التي تُؤدّي كُلُّ واحدة منها دورها في عقدِ الاتّساق الشَّكليّ الأدائيّ من جهة ، والانسجام الدّلالي من جهةٍ أُخرى ؛ توصَّلنا إلى جُملةٍ من النتائج هي :

١ – تمكَّنَ ابنُ خاقان في كتابيه قلائِد العقيان ومطمح الأنفس من توْجيه خِطابه نحو مَظانه الصحيح ؛ عبرَ سِلسلةٍ من الأساليبِ التي حقَّقتِ التماسُك الشَّكلي اللُّغوي الدَّاخلي والتماسُك الدّلالي الخارجي .

٢ – استطاعَ ابنُ خاقان بوساطةِ الالتضام من تفعيل حركيَّة الأساليب لفرزنةِ مُحتوى المَعاني والإشاراتِ الدّلاليَّةِ لسحبِ المُتلقي إلى منطقةِ التفاعُلِ والمُشاركة ؛ ولاسيما في خاصيتي التقابُل والتَّضاد .

٣ – لم يكُن التَّكرارُ إلاَّ أداةً نشطة لزيادةِ الإنتباه إلى وقعهِ الصَّوتي أولاً ؛ ثُمَّ ما يحصلُ على مساحةِ وجوده الدّلالي ثانياً ، وكانتِ استعانة ابن خاقان لهذا النَّوع من الأساليب مبْنيَّة على وفْق تقديم المعلُومةِ التي تخصُّ الشَّخصيَّة على نحوٍ مُتتابعٍ وجذاب ؛ لأنَّ التَّكرارَ يسحبُ الذِّهنيَّة إلى منطقةِ الافرازِ الحقيقي المُراد اشهارها وتسليط الضوءِ عليها .

٤ – لم يكتف ابنُ خاقان بالتماسُك الشَّكلي الأدائِي لإيصال خِطابه ؛ بل استند إلى محور التماسُك الدّلاليّ في إطارهِ الخارجيّ المُتَّصل بالثقافةِ والمعرفة .

٥ – نجحَ ابنُ خاقان بتطويع السِّياقِ بنوعيه المَقالِي المُتمثِّل بِسِمة العُمُومِ والخصُوص ؛ والمَقامِي المُتمثِّل بِسِمة السَّبب والمُسبِّب للوصُول إلى غاياتٍ كان يقصدها وأهداف فكريَّة كانَ يُعوّلُ عليها ؛ ليُحقِّق خِطابه من خلالهِما على هُويَّة التَّميُّز والفَرادة .

٦ – تميَّز خِطابه عبر التغريض بوحدةِ انسجامٍ عاليةِ الجودة ؛ لأنَّه يجعلَ التَّماسُك الدّلالي أكثر حضُوراً وأكثر قيمة ، نتيجة المُتواليات الفكريَّةِ البانيةِ للموضوع ، فكان التَّماسُكُ القائِم على ثُنائيَّةِ الموضُوع وأُحاديته مُعبّراً عن جوهر المضامين والرُّؤى التي أرادها ابن خاقان .

المصادرُ والمراجع

- بلاغة الخطاب وعلم النص – صلاح فضل – الشركة العالمية للنشر لونجمان – ط ١ / ١٩٩٦ .
- البيان والتبيين – أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ – تحقيق عبد السلام محمد هارون – دار الجيل – بيروت – د.ت .
- جرس الالفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب– د. ماهر مهدي هلال– دار الحرية للطباعة– بغداد– ١٩٨٠.
- السياق وأثره في المعنى – د. مهدي ابراهيم الغويل – أكاديمية الفكر الجماهيري – ط ١ / ٢٠١١ .
- علم لغة النص والأسلوب بين النظري والتطبيق – نادية رمضان النجار – مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع – ط ١ / ٢٠١٣ .
- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق – صبحي ابراهيم الفقي – دار قباء – القاهرة – د. ط – ٢٠٠٠ .
- عيار الشعر – شرح وتحقيق : عباس عبد الساتر ومراجعة نعيم زرزور – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط ١ / ١٩٨٢ .
- قضايا الشعر المعاصر – نازك الملائكة – منشورات مكتبة النهضة – ط ٣ / ١٩٦٧ .
- قلائد العقيان ومحاسن الأعيان – أبي نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي الإشبيلي الشهير بابن خاقان (٥٢٩ هـ) – حققه وعلّق عليه الدكتور حسين يوسف خريُوش – مكتبة المنار – د.ت .
- لسانيات النص – مدخل إلى انسجام النص – محمد خطابي – المركز الثقافي العربي – بيروت – ط ١ / ١٩٩١ .
- اللغة مبناها ومعناها ؛ د. تمام حسان – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٧٩ .

- مطمح الأنفس ومسرح التأنس في مُلح أهل الأندلس – الوزير الكاتب أبي نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان ابن عبد الله القيسي الإشبيلي – (٥٢٩ هـ – ١١٣٥ م) – دراسة وتحقيق – محمد علي شوابكة – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط ١ / ١٩٨٣ .

- منهاج البلغاء وسراج الأدباء – تقديم وتحقيق : محمد الحبيب ابن الخوجة – الدار العربية للكتاب – تونس – ط٣ / ٢٠٠٨ .

- نحو النص في ضوء التحليل اللساني للخطاب – د. مصطفى النحاس – ذات السلاسل – الكويت – ط ١ / ٢٠٠١ .

- النقد التطبيقي الجمالي واللغوي في القرن الرابع الهجري – احمد رحماني – جدار للكتاب العالمي – ٢٠٠٨ .

الرسائل الجامعية

- آليات الاتساق والانسجام في الخطاب الشعري (الخمرة الإلهية) لابن الفارض أنموذجا – سعدوني فاطيمة – إشراف د.حفيظة مخلوف – رسالة ماجستير – كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية والفنون – جامعة الدكتور الطاهر مولاي – الجزائر – ٢٠١٨ .
- التماسك النصي من خلال الإحالة والحذف – دراسة تطبيقية في سورة البقرة – محمد الأمين مصدق – رسالة ماجستير – إشراف د. عبد الكريم بورنان – كلية اللغة والأدب العربي والفنون – جامعة الحاج لخضر باتنة – ٢٠١٥ .

الدوريات

- الاتساق المعجمي في سورتي الملك والأعلى – دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة النصي – عبد الرحمن البلوشي – مجلة مجمع اللغة العربية – دمشق – سوريا – العدد ٥– ٢٠١٤.
- الانسجام النصي وأدواته – الطيب العزالي قواوة – مجلة المخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري – جامعة محمد خيضر – بسكرة الجزائر – العدد الثامن – ٢٠١٢ .

الهوامش

١البيان والتبيين – تحقيق عبد السلام هارون : ٤ / ٢٤ .

٢عيار الشعر – شرح وتحقيق : عباس عبد الساتر ومراجعة نعيم زرزور : ١٢٩ .

٣منهاج البلغاء وسراج الأدباء – تقديم وتحقيق : محمد الحبيب ابن الخوجة : ٢٩٥ .

٤علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق – دراسة تطبيقية على السور المكية : ١ / ٩٦ .

٥ اللغة مبناها ومعناها – د. تمام حسان : ١٢٣ .

٦ التماسك النصي من خلال الإحالة والحذف – دراسة تطبيقية في سورة البقرة – محمد الأمين مصدق – رسالة ماجستير – إشراف د. عبد الكريم بورنان – كلية اللغة والأدب العربي والفنون – جامعة الحاج لخضر باتنة – ٢٠١٥ : ١٠ .

١٧الاتساق المعجمي في سورتي الملك والأعلى – دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة النصي – عبد الرحمن البلوشي : ٧٤ .

٨ علم لغة النص والأسلوب بين النظري والتطبيق – نادية رمضان النجار : ٥٦ .

٩قلائد العقيان ومحاسن الأعيان : ٢ / ٤٩٣ – ٤٩٤ .

١٠ مطمح الأنفس ومسرح التأنس في مُلح أهل الأندلس : دراسة وتحقيق – محمد علي شوابكة : ١٨١ – ١٨٢ .

١١المصدر نفسه : ١٧٩ .

١٢جرس الالفاظ ودلالتها – : ٢٣٩ .

١٣قضايا الشعر المعاصر – نازك الملائكة – ٢٤٢ .

١٤النقد التطبيقي الجمالي واللغوي في القرن الرابع الهجري ٢٥٨ .

* - الذّمة .. الأصح المذمة كما صحح ذلك المحقق ، وهي تتناسب مع السياق .

١٥قلائد العقيان ومحاسن الأعيان : ٢ / ٥٤٥ .

١٦ مطمح الأنفس ومسرح التأنس في مُلح أهل الأندلس : ١٨٣ .

١٧ نحو النص في ضوء التحليل اللساني للخطاب – د. مصطفى النحاس : ٥ .

١٨ النص والخطاب والإجراء – نقلا عن - التماسك النصي من خلال الإحالة والحذف – دراسة تطبيقية في سورة البقرة : ١٨ .

١٩ السياق وأثره في المعنى – مهدي ابراهيم الغويل : ١٤ .

٢٠ نحو أجرومية للنص الشعري – سعد مصلوح - نقلا عن - التماسك النصي من خلال الإحالة والحذف – دراسة تطبيقية في سورة البقرة : ١٨ – ١٩ .

٢١ بلاغة الخطاب وعلم النص : ٢٦١ .

٢٢قلائد العقيان ومحاسن الأعيان : ٢ / ٤٦٦ - ٤٦٧ .

٢٣ ينظر : الانسجام النصي وأدواته – الطيب العزالي قواوة – مجلة المخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري – جامعة محمد خيضر – بسكرة الجزائر – العدد الثامن – ٢٠١٢ : ٦٦ .

٢٤آليات الاتساق والانسجام في الخطاب الشعري (الخمرة الإلهية) لابن الفارض أنموذجا – سعدوني فاطيمة – إشراف د.حفيظة مخلوف – رسالة ماجستير - كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية والفنون – جامعة الدكتور الطاهر مولاي – الجزائر – ٢٠١٨ : ٣٠ .

٢٥مطمح الأنفس ومسرح التأنس : ٢٧٠ .

٢٦لسانيات النص - مدخل الى انسجام النص – محمد خطابي : ٥٦ .

٢٧المصدر نفسه : ٥٩ .

٢٨آليات الاتساق والانسجام في الخطاب الشعري (الخمرة الإلهية) لابن الفارض أنموذجا – رسالة ماجستير : ٣٧ .

٢٩ مطمح الأنفس ومسرح التأنس : ٢٨٣ .

٣٠ المصدر نفسه : ٢٦٦ – ٢٦٧

Textual coherence in the two books of Al-Fatih bin Khaqan

(Qla'id Al-Aqyan wa Matmah Al-Nafs)

critical study

Dr.. Suha Younis Salman / Kirkuk Education Directorate

Abstract

The author of the text aims to enhance the balances of his concepts and visions through linguistic manipulation that leads to improving the literary quality, which in turn is consistent with the nature of the topics, issues and targeted ideas. Therefore, the research attempts to shed light on the textual coherence of Al-Fath bin Khaqan; Relying on his two books (Qla'id Al-Aqyan wa Matmah Al-Nafs), and attempting to convince the recipient of the amount of the aesthetic achieved and the possibility of counting it as a key to accessing Ibn Khaqan's discourse, and the broadness of the topic and its bifurcation, we decided to stand on two important axes, the two important axes that are intertwined in the intersections of the two intersections: Language and harmony (semantic coherence) in which the stylistic units cooperate from the inside with the external social environment to form the nucleus of the discourse and its special focus.